

ممارسات الدفن في السودان القديم: مناقشة التغيير والاستمرارية في التقاليد الجنائزية في العصرين الحجري والبرونزي

الهيئة العامة للآثار

د. فخري حسن عبد الله حسن

المستخلص:

تهدف هذه الدراسة إلى تأصيل ممارسات الدفن في التقاليد الجنائزية في العصرين الحجري والبرونزي، العصور السابقة لمملكة نبتا الكوشية ما يُوثق للصلة الوثيقة، وذلك من خلال دراسة ملامح تطوُّر المواضع الطبوغرافية للمدافن، دراسة تطوُّر البنائين العُلوي والسُفلي، العُرْف على مكونات الأثاث الجنائزي، إبراز العناصر المحلية في التقاليد الجنائزية، كشف علاقة العمارة الجنائزية في العصرين الحجري والبرونزي برصيفاتها في الفترات الكوشية اللاحقة. جاءت أهمية هذه الدراسة لهذين العصرين قائمة على كونهما يُمثلان أقدم وأول تطوُّر للعمارة الجنائزية، باعتبار إنَّها تُشكل أحد الإنجازات الحضارية وتمثل أحد أهم الجوانب الثقافية للإنسان القديم بشكلٍ عام. وليس أدل على ذلك من أن المدافن القديمة تعكس الكثير من الجوانب الحضارية من معمارية وفنية وعقائدية ونحوها. كما أنَّها أكثر مكونات الإرث الحضاري البشري عطاءً في المعلومات كما يُشير تاريخ الكشف الأثري على مستوى العالم. وكذلك حال المدافن الملكية التي بقيت على مرِّ العصور أكثر الآثار الشاحصة شهرةً لهذه الحضارة، لذا نحسب أن هذا الجانب سيُساهم بشكلٍ فاعل في تسليط الضوُّ على القضية التي يتناولها هذا البحث. ولعل واقع الدراسة الأثرية هو محاولة لإزالة الغموض الذي يكتنف الفترة المعنية بالبحث، بإيجاد معلوماتٍ أوفى، لذلك اعتمد الباحث بصورةٍ أساسيةً على المنهج الوصفي التحليلي بكافة وسائله، من وصف وتحليل واستنتاج ونقد وفقاً للحوجه التي يقتضيها البحث. توصلت الدراسة إلى عدة نتائج أهمها: غياب معالم المدافن الفوقية والتحتية في الفترات الأولى للعصرين الحجري والبرونزي، وظهورها تدريجياً بعد ذلك الأثاث الجنائزي اصطحب الأموات في معظم الحالات. الدفن في كلا الحالات قرفصائي، ثراء المدافن بالأثاث الجنائزي، خاصةً أدوات الزينة، ظهور عادة الأضاحي الحيوانية في المدافن المتأخرة. وفي المرحلة المتأخرة من العصر البرونزي يُلاحظ ظهور نوعين من التطوُّر في عملية البناء العُلوي: إحداهما على شكل دوائر من حجارة الرمل الأسود مثبتة بترابٍ دُعمت بالحصى، أما النوع الثاني فيتكون من مجموعة مسلات من الحجارة مرصوفة على شكل دوائر بحيث تملأ وسطها الداخل بالحصباء. ظهور تدرجٍ واضح في عملية البناء السفلي، فأخذ شكل حفرة، وبمرور الزمن يُلاحظ أنَّ وسط حفرة المقابر توسَّعت كثيراً. أخذ وضع الجثمان الشكل القرفصائي، أصبحت عادات ممارسة

Burial practices in early Sudan: a discussion of change and continuity prior to the Napatan period

Dr.Fakhri Hassan Abdallah

Abstract :

This study discusses typical burial practices in the funerary traditions of the Stone and Bronze Ages between Lower Nubia and the Khartoum area, Sudan (c. 13000BC-1500BC), prior to the Kushite Kingdom of Napata, which document shared traditions between cultures in the Middle Nile Region across this long period. It outlines the development of topographical locations, substructures and superstructures, as well as the grave goods, in order to identify shared cultural practices and local elements in funerary traditions. In addition, this research will allow us to identify which elements of funerary culture were still present in the later Kushite period, perhaps suggestive of long-standing traditions in this region. Sudanese cultures in the Stone and Bronze Age represent the earliest developments of funerary architecture in the Middle Nile. Material from these early burial traditions reflects many aspects of contemporaneous societies including architectural techniques, spiritual belief, and artistic practices. As such they are hugely informative for our understanding of early Sudan, and how this affected later civilizations. Several important results were acquired, including the early absence of specific superstructures and substructures during the early periods of the Stone and Bronze Ages, before their gradual appearance. However, there was immediate evidence of burial practices including the presence of grave goods, particularly decorative tools, and burial in a flexed position. Animal sacrifices appeared in later burials, while by the Bronze Age; two types of development in the superstructure process are observed: one in the form of black sandstone tumuli fixed with soil and supported by gravel; and the second a group of stone obelisks arranged in the form of circles with their inner center is filled with gravel. The size of substructures expanded greatly over time, along with the increased complexity of burial customs. The aim of this archaeological study is to compile large amounts of evidence from these earlier periods to shed light on changes and continuity within funerary traditions. Therefore, the researcher uses an analytical, descriptive, historical method to describe, analyse and criticise previous excavation records and explore long-term changes in burial practices over the Middle Nile Region.

المقدمة :

شأن كل الظواهر الحضارية فإنَّ نشأة وتطوُّر المدافن يخضع لعملية تراكميةٍ طويلة تُعبر خلالها تطوُّرات في أشكالها وبنياتها الخارجية والداخلية وفي توجُّه المدفن والمدفون، وفي المحتويات الجنائزية. إنَّ العمارة الجنائزية هي إحدى فنون العمارة التي وُجِدَت في السُّودان القديم، ويشمل مختلف أشكال المدافن المنتشرة في السودان خاصة الأجزاء الشمالية والوسطى منه حتى منطقة الخرطوم الحالية (الشكل:1). ومُمكن ملاحظة أنَّ أشكال المدافن من خلال بنياتها العلوية والسفلية تُشير إلى أنَّ تلك المدافن قد مرت بمراحل تطوُّر عديدة برزت من خلالها السمات المميزة وخصائص تلك المدافن سوء في عمارتها أو محتوياتها مما يُمكن من إعطاء صورة واضحة عن شكل المجتمع الطبقي في تلك الفترة، وبنية طبقاته الاجتماعية التي تُشكل ذلك المجتمع. إنَّ تتبع المدافن الجنائزية في فترتي العصرين الحجري والبرونزي يُمكن في أنَّها تُعتبر الأساس للمعلومات المستقاه عن الفترة الكُوشية وخلافها، وذلك من خلال النقوش التي وُجِدَت داخل تلك المدافن، وذلك من خلال الأثاث الجنائزي الذي وُجِد بداخلها والذي يُوضح لنا العديد من الجوانب الدينية والفنية والاقتصادية والاجتماعية والعسكرية، وذلك من واقع دراسة عمارتها ومكونات الأثاث الجنائزي التي كانت تُستخدم في الحياة اليومية للمتوفى. كذلك يكشف تتبع أهمية تلك المدافن في كونها تُساهم بصورة واضحة في عملية التاريخ لتلك الفترات المختلفة. إذ تتباين العادات الجنائزية لكل مراحل تاريخ السُّودان القديم. ومُمكن محاولة تفسير الكثير من مظاهر الحضارة الكُوشية بفضل وجود الآثار الجنائزية. يُمثل البناء الجنائزي أحد فنون العمارة التي وُجِدَت في كُوش، حيث أظهر تطوُّراً واضحاً في فن العمارة الجنائزية الكُوشية. ومُمكن ملاحظة تطوُّر أشكال المدافن من خلال شكلها العلوي والسفلي، الذين يُشكلان عمارة المدافن عموماً في تلك الفترة الكوشية.

تلخص هذه الدراسة عادات الدفن الجنائزية المتغيرة والمُستمرة في السُّودان القديم خلال فترة العصر الحجري القديم وحتى فترة كرمة (العصر البرونزي) (حوالي 12500-13000 قبل الميلاد). وذلك من أجل إستكشاف التحوُّلات في الممارسات الجنائزية في منطقة النيل الأوسط. بالتركيز علي البنائين السفلي (الداخلي) والعلوي (الخارجي)، فضلاً عن أساليب وطُرق الدفن والأثاث الجنائزي، وتقييم الأدلة والروابط الثقافية والاستمرارية عبر هذه التقاليد.

كشفت الاستخدام المبكر للأثاث الجنائزي خلال العصرين الحجري والبرونزي عن التقاليد المُتعلقة بطقوس الشرب، حيث كان أكثر تطوُّراً خاصة في فترة المجموعة (أ) وفترة المجموعة (ج)، عندما استخدم إنسان هذه الفترة التمايم والتعاويد الجنائزية، بجانب استخدامه للقرابين الحيوانية، أي الضحايا الحيوانية. وعلى الرغم من أنَّ العديد من المدافن بسيطة، إلا أننا نستطيع بالفعل أن نرى الروابط بفترة كرمة اللاحقة، حيث أصبحت مدافنها أكثر ثراءً بالأثاث الجنائزي، الذي تمثل في السلطانيات الفخارية، وأدوات الزينة، بجانب ظهور تقليد عادة الضحايا الحيوانية والبشرية واستمرارها، مما جعلها أكثر انتشاراً في مقابر كرمة الملكية. وتُشير العناصر الأخرى إلي التبادل التجاري التي استمرت لفتراتٍ طويلة.

من خلال تعرُّفنا على أوجه التشابه والاختلاف في ممارسات الدفن، سواء بشكلٍ مُتزامن أو غير مُتزامن. يُمكننا معرفة كيف أنَّ بعض التقاليد ربما كانت مستمرةً لفتراتٍ طويلة وذات صلةً بأعداد كبيرة من

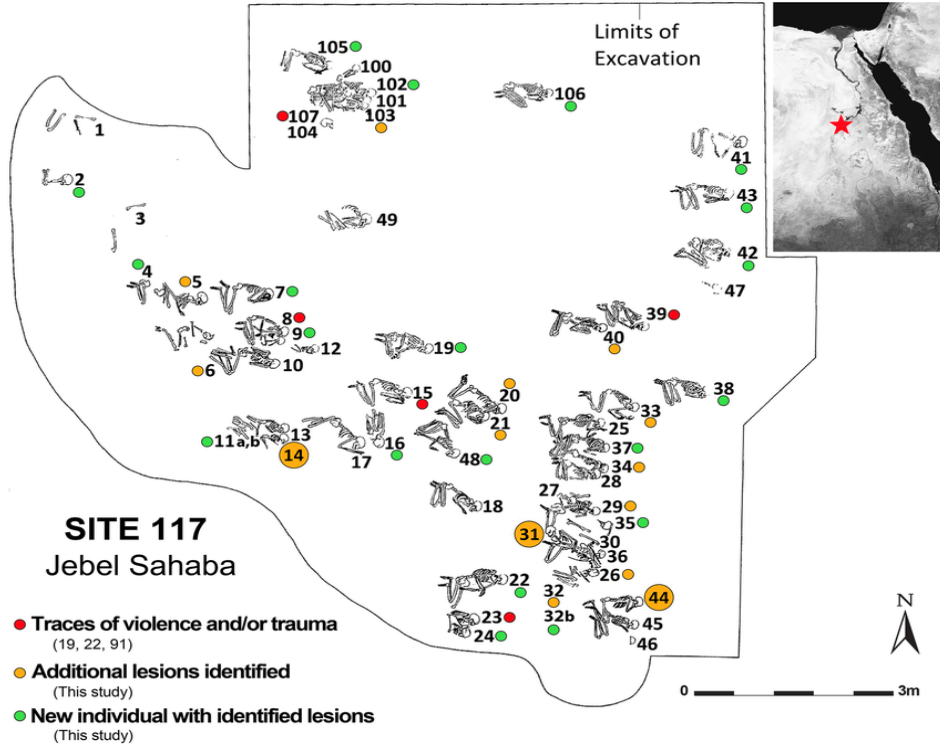
العمارة الجنائزية في العصور الحجرية:

يُحدثنا القرآن الكريم عن ابني آدم حين تنازعا وقتل أحدهما الآخر أرسل الله غراباً ليُرِيه كيف يُؤاري جسد أخيه. قال تعالى: ﴿فَبَعَثَ اللَّهُ غُرَابًا يَبْحَثُ فِي الْأَرْضِ لِيُرِيَهُ كَيْفَ يُؤَارِي سَوْءَةَ أَخِيهِ قَالَ يَا وَيْلَتَا أَعَجَزْتُ أَنْ أَكُونَ مِثْلَ هَذَا الْغُرَابِ فَأُوَارِيَ سَوْءَةَ أَخِي فَأَصْبَحَ مِنَ النَّادِمِينَ﴾ سورة المائدة - الآية (30): والأبحاث الأثرية لم تكشف إلا في وقت متأخر عن ممارسة الدفن. فكما نعلم أنّ الهياكل العظمية هي مادة عضوية سريعة الزوال، وقابلة للتآكل، والمدافن دوماً تتعرض لعوامل التعرية، وربما تزول محتويات معالمها. ولعل أقدم المدافن التي كشف عنها علم الآثار تعود إلى حقبة العصر الحجري القديم الأوسط نحو 20 ألف - 40 ألف، حيث عُثِرَ على هياكل النياندرتال مدفونة في قبور مُعدة، والى جانبهم وضعت القرابين، إيماناً بحياة ما بعد الموت. ويُعتبر كهف شيندار في كردستان العراقية نموذجاً لهذه الحقبة (Chard: 1974:122).

مصادر معرفتنا عن الدفن وعاداته، تعتمد إلى حدٍ بعيد على ما تم الكشف عنه من مدافن في مناطق مختلفة من العالم. وفي بعض الحضارات القديمة تتحدث المصادر المكتوبة عن حقيقة الموت منذ الألف الثالث قبل الميلاد، وكذلك ما بعد الموت. وقد ساد الاعتقاد في هذه الحضارات بأنّ هنالك حياة أخرى بعد الموت، وأُرفقت مع المييت تقدمات لها علاقة بمأكله ومشربه ومعتقداته الدينية وممتلكاته الشخصية التي تُسمى جميعاً بالمرفقات الجنائزية التي كان واجب على ورثة المييت وضعها معه داخل المدفن (عباس، 2024: 15-16). وفي ممارسة النياندرتال هذه ما يُشير إلى أنّ البشر كانوا يدفنون موتاهم بعنايةٍ ووقار. وقد فسر ذلك كإشارة لقدرتهم على التفكير بشأن السمات الروحية للموت، وحياة ما بعد الموت، وربما يكون إشارة أيضاً لأسبابٍ صحيةٍ وعاطفية. ومهما كان الحافز وراء هذا العمل، فإنّ بعض علماء الآثار، وعلماء الأنثروبولوجيا يرون هذا كأحد المراحل الأولى في تطوير الحضارة الإنسانية (المرجع السابق: 16). أتبعَت المجموعات البشرية القديمة أنماطاً مختلفة من أنواع الدفن (وليس أنواع المدافن)، ارتبطت بها طقوس وممارسات جنائزية. ومُمكن إعطاء وصف لأنواع الدفن وفق ما تم معرفته حتى الآن من المواقع الأثرية. حيث كان يدفن الفرد حسب وضعه الاجتماعي، أو السياسي (المرجع السابق: 18).

العمارة الجنائزية في العصر الحجري القديم: Paleolithic

بالنسبة للسودان القديم جري الكشف عن أقدم دليل للمدافن في شمال السودان في النوبة السفلى في موقع جبل الصحابة والجزيرة دبروسا، بالقرب من وادي حلفا، وتوشكا، نُسبت لثقافة عبد القادر، التي اشتقت اسمها من اسم القرية التي وُجِدَ بها الموقع، وتُؤرّخ إلى نحو 13000 إلى 8000 قبل الميلاد، أي أنّها تُؤرّخ إلى نهاية العصر الحجري القديم الأعلى في تلك المنطقة. وأشهر هذه المدافن هي تلك التي عُثِرَ عليها بالقرب من جبل الصحابة، على بعد 3 كلم من وادي حلفا وتُعرف بالموقع 117. كشفت هذه الجبّانة على 58 هيكلًا عظيمًا (الشكل: 2) من كلا الجنسين (Wendorf and schild, 2004:9).



الشكل (2) الشكل العام لجبانة جبل الصحابة ما يُعرف بصحايا العنف
(معدلة عن Wendorf & Schild, 2004: 7)

عكست مدافن جبل الصحابة على أنَّ المدفونين في داخل هذه المقبرة من الرجال والنساء والأطفال، يُظهرون مؤشرات دالة على أن موتهم كان نتيجة عنف ربما نزاع حول مصادر الغذاء خاصة إنهم عاشوا خلال فترة جفاف حاد، في هذه الحقبة. (Ibid: 9 - 10) حيث وفدت مجموعات هائلة من الصحراء إلى النيل، وانعكس ذلك التباين الواضح من خلال الآثار المحصورة بين الشلال الأول والثاني، كما ظهرت آثار رؤوس سهام حجرية وُجِدَت داخل أجسادهم (الشكل: 3) في مجموعةٍ من الهياكل. وقد أوضحت هذه الجبانة معلوماتٍ قيمة عن عادات الدفن في تلك الفترة. (Ibid: 10-13) بالنسبة لعادات الدفن نجد أن المقابر حُفِرَت في منطقة خُصِصَت للدفن فقط. ولم تكن المعالم واضحة للبناء العلوي للمقابر، وفي البناء السفلي يقبع المقبورون في حفرة بيضاوية صغيرة محمية بصفائح رقيقة من الحجر الرملي، وُضِعَ الجثمان في شكلٍ قرفصائي (على شكل هيئة الجنين داخل رحم أمه) على الجانب الأيسر، الرأس باتجاه الشرق متجهاً جنوباً، والأيدي عادةً أمام الوجه. وفي حالات يضم القبر الواحد مدفنين إلي أربعة. على كلٍ لا تحتوي المدافن علي أثاثٍ جنائزيٍّ مع أنَّ العديد من المدافن سالمة في وضعها الأصلي. (Ibid: 10-18) اتخذت الهياكل في مقابر توشكا والجزيرة دبروسا الوضع نفسه رغم أنَّ تجاهها لم يخضع لضوابط ثابتة. وفي توشكا عُثِرَ على جمجمة ثور بري موضوعة على بعض من المقابر، ربما كان لتحديد موقع المقبرة. (Ibid:18)

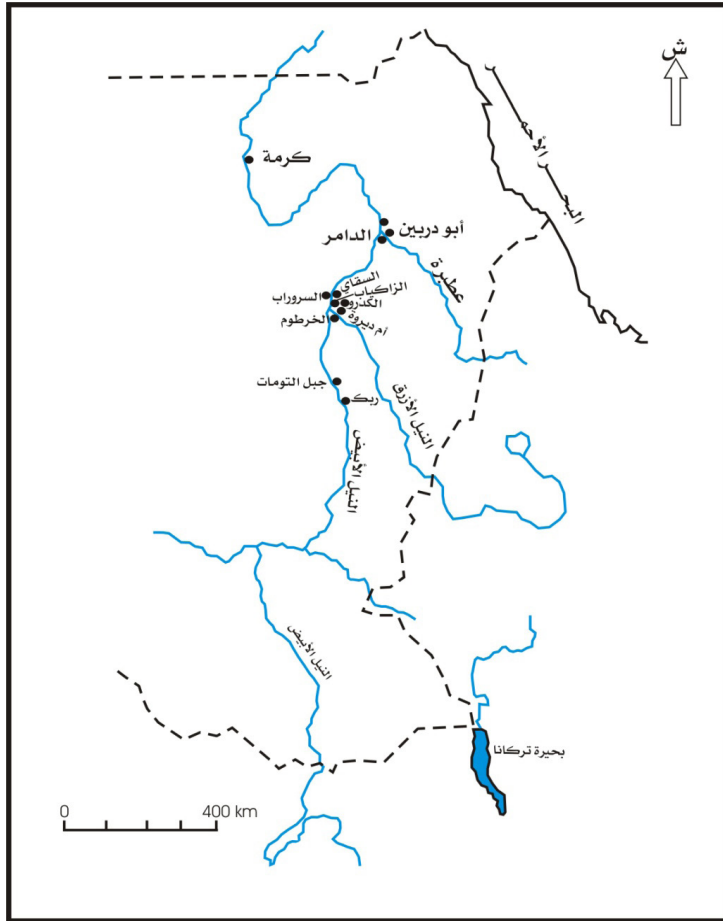


الشكل: (3) أحد مداخل ضحايا العنف بجبل الصحابة ونُشاهد سهام حجرية داخل الجسد
(عن Wendorf & Schild: 2004:12)

العمارة الجنائزية في العصر الحجري الوسيط : Mesolithic

ترجع أقدم المدافن التي وُجِدَت في وسط السُّودان إلى ما يُعرف بحضارة الخرطوم الباكراة Early Khartoum نحو (8000-5000) قبل الميلاد، ودفن أهل الخرطوم القديمة موتاهم في وضع قرفصائي في مقابر حُفرت داخل موقع الإقامة خلافاً لما هو الحال لدى أهل حضارة عبد القادر، الذين دفنوا موتاهم ربما خارج مواقع الإقامة نسبة لعدم العثور على موقع الإقامة تحديداً حول المقبرة. لم تكن هنالك في مدافن الخرطوم المبكرة معالم واضحة للبناء العلوي، أو السفلي، كما لا تُوجد ضوابط محددة تحكم اتجاه الجثمان، أو وضعه، مع أن الهياكل كانت مفرصة أحياناً، وأنها في الغالب ترقد على الظهر مع وضع الأرجل في حالة انحناء إلى الإمام والأيدي بعيدة عن الوجه. (Arkell, 1949:31-34) وفي موقع الخرطوم القديمة يظهر الأثاث الجنائزي بصورة واضحة، حيث ارتبط المحار و الصدف بمجموعة من المدافن، وقد صاحبت قطعة فخار كبيرة أحد الهياكل، ووُضعت كمسند للرأس، في حين زُين هيكل آخر بعقد من خرز من بيض النعام. (Ibid: 31-34) وفي مدافن الشابونة بالنيل الأبيض التي تُؤرخ إلى ذات الفترة، تم الكشف عن هيكليْن فقط وكانا في حالة حفظ جيدة، وكلاهما يرقدان في وضعٍ ممدد على ظهريهما. ولم يتم العثور على أية بناء آت علوية، أو سفلية لهذه المدافن. (Clark, 1973:62) وكذلك لم يُعثَر على أثاثٍ جنائزيٍّ بداخلها.

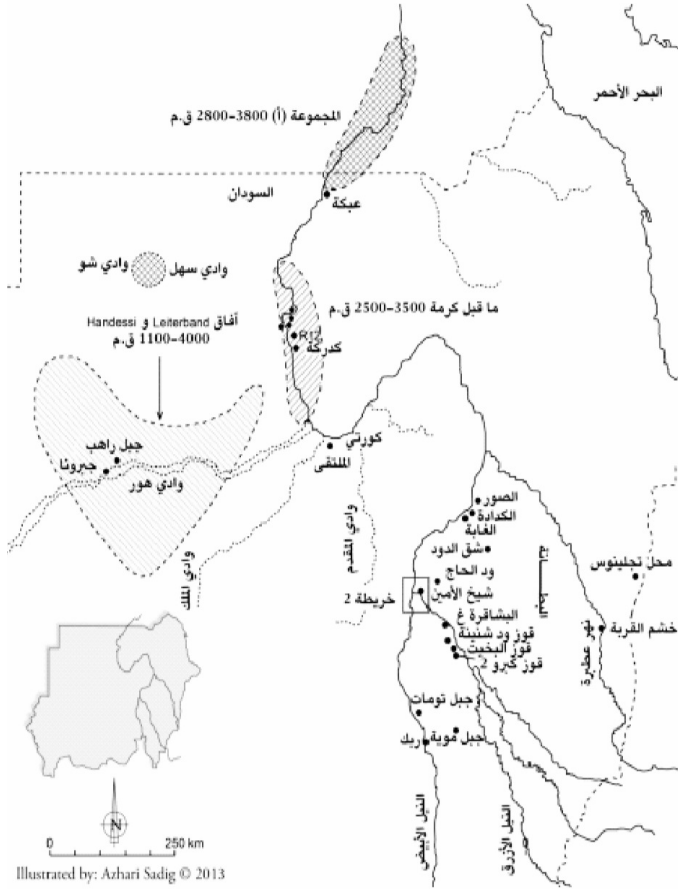
باستثناء حالات قليلة من المدافن في موقع السقاي الذي يُورخ إلى هذه الفترة. (Caneva, 1983: 21-23) وهناك عدد من المواقع الأخرى الخاصة بهذه الفترة كشف عنها في مختلف مناطق السودان منها موقع أبو دربين و الدامر قرب مدينة عطبرة (الشكل: 4) (Haaland, 1988) والسقاي (Caneva, 1983) وجبل أم مَرّحي، وسهل البطانة (Marks and Mohammed Ali, 1991) ووادي هور. (Kuper, 1986) غير أنّ هذه المواقع لم تكشف عن مدافن يُمكن تاريخها لتلك المرحلة وربطها بها (النور، 2006). وكان أركل قد عثر على عدة مقابر تحت هذه المساكن، أو بالقرب منها لسكان الخرطوم المبكرة استخدموها، والمقبر عبارة عن حفر بسيطة يُوضع فيها الميت بشكلٍ مقرفص، مع عدم وجود دليل قوي على أية قرابين، أو أثارٍ جنائزي. وقد لاحظ أركل أنّ معظم الجماجم قد أُزيلت عنها القواطع العليا، وهم في ذلك يشبهون بعض القبائل النيلية الجنوبية الذين يُزيلون القواطع السفلى) صادق، (128:2020).



الشكل: (4) بعض مواقع العصرين الحجري الوسيط والحديث في أواسط السودان (معدلة عن Haaland, 1993:48)

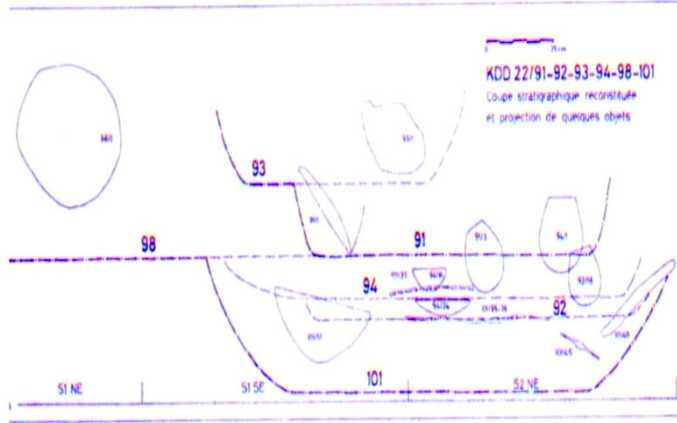
العمارة الجنائزية في العصر الحجري الحديث: Neolithic

يُغطي العصر الحجري الحديث Neolithic في السودان الفترة الممتدة من نحو 4900 حتى 3000 ق.م، ويُميز كريزيانك (Krzyzaniak) بين طورين لهذا العصر في السودان، العصر الحجري الحديث المبكر. ويُسمى في حالات مبرك الخرطوم- الشهبين النيوليتي، ويستمر من نحو 4900 حتى 3800 ق.م (الشكل:5) في حين يُواصل المتأخر حتى 3000 ق.م. وقبل أكثر من خمسين عاماً وفرت أعمال اركل الرائدة في مواقع بمنطقة الخرطوم المخطط العام الأولى لتطور ثقافات ما قبل التاريخ في السودان (Arkell,1961) وتمثل المدافن التي تعود للعصر الحجري الحديث المكتشفة لاحقاً تطوراً ملحوظاً مقارنة بالمدافن التي تعود للعصر الحجري الوسيط (النور، 181-180 2006



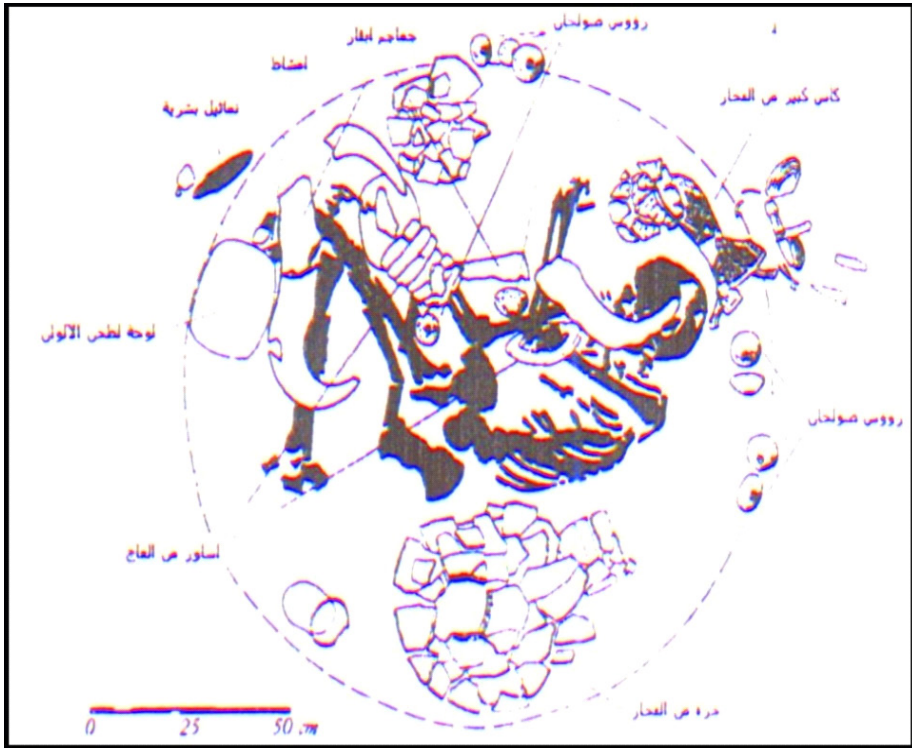
الشكل (5): يُوضح مواقع العصر الحجري الحديث في السودان (عن: صادق، 2020: 128

يتجسد ازدهار عادات الدفن للعصر الحجري الحديث في موقع الكرو الذي يقع على مسافة عشرين كلم شمال الخرطوم حيث حفرت قبور هذه المجموعة على عمق شديد، ويُلاحظ غياب البناء العلوي لهذه القبور، وُجِدَت الجثة ترقد داخل القبر في وضعٍ قرفصائي. ويتألف الأثاث الجنائزي من حُلِي من العاج ومن قواقع البحر الأحمر، ومن أدواتٍ حجريةٍ وأنيبٍ خزفيةٍ) رينولد وكرزيناك، 1996: (15-14. وركز كرزيناك في التنقيب في هذه المقبرة بشكلٍ أساسيٍّ على الأثاث الجنائزي، وقسّمه إلى عدة أصنافٍ عكست المركز الاجتماعي، الذي تُمثل في الأدوات الكمالية كالصولجان والأواني الفخارية الخاصة وأدوات الزينة الشخصية المصنوعة من الأحجار شبه الكريمة. (Krzyzaniak, 1992:270) تم فتح عشرين مقبرة من مقابر الجبّانة الواقعة على سفح التل خارج مكان السكن، وقد تبين أنها تحتوي على قبور الذكور والإناث من كل الأعمار. وُجِدَت الجثة ترقد داخل القبر بالوضع القرفصائي، كما أسلفت، ولُوَحِظ وضع القرايين وعادة تزيين الميت بمختلف أنواع الحُلِي، وبعض القبور احتوت معثوراتٍ ثمينة مثل: حجر العقيق الأحمر، وغيره. وبناءً على ذلك كما ذُكِر يُمكن القول على وجود تفاوتٍ طبقيٍّ لمجتمع الكرو في المركز الاجتماعي، كما يُشير الأثاث الجنائزي. (Krzyzaniak, 1978:169) وفي موقع الغابة الذي يعود للعصر الحجري الحديث، لم يتم الكشف عن أي بناءٍ علويةٍ للقبور، وتبدو الجبّانة في مجملها قد تطوّرت وفق خطٍ كرونوطوبوغرافي. دُفِن المتوفى في حفرةٍ دائريةٍ أو شبه دائرية تتفاوت أقطارها بين نحو 120سم إلى 60سم. تحتوي الحفرة على هيكلين واحد يرقد في وضعٍ مقرّص، وليس هنالك اتجاهٌ ثابتٌ محدد. ويتمثل الأثاث الجنائزي من الحُلِي والزينة التي يستخدمها خلال حياته. الألوان التي وُجِدَت داخل الحفرة تُظهر أنّ اهتماماً كبيراً وُظِف للجثمان. كما أنّ هنالك بقايا غطاءٍ آتٍ وكساءٍ آتٍ مقرةٍ (حمراء أو مساند رأس ومساند رجلين (بيضاء) و طلاء آتٍ وجه (خضراء) تتعلق ربما ببعض معتقداتهم. كذلك حوت المقابر بقايا تعكس صورة عن الثقافة المادية، خاصة الأدوات الحجرية الرقيقة، إلى جانب الأدوات المصقولة، وفؤوس، وبلاطات، ورؤوس هراوات، ولوحات مساحيق التجميل. وتُشير تلك الأدوات الحجرية إلى جانب المصنوعات الفخارية إلى اختلافات يُمكن إرجاعها لتطورٍ محلي خاص (Reinold, 1987:21-41) يكشف موقع الكدادة الذي يقع في منطقة شندي على مسافة 81 كلم شمال الخرطوم (الشكل: 6) عن موقع يعود إلى فترة العصر الحجري الحديث. تتألف الجبّانة القائمة على السفح الشمالي والجنوبي من الهضبة من عدة مقابر (رينولد وكرزيناك، 1996: 15).



الشكل (6): البناء السفلي لجبّانة الكدادة (عن Reinold , 2008- Fig. 101)

وقد تم التنقيب عن منطقتين رئيسيتين في الموقع، واحدة تحتوي على العديد من المدافن، ويُلاحظ الغياب التام للبناء العلوي للمدافن، وأخذ البناء السفلي (الشكل:7) حفرة دائرية، أو شبه دائرية. ترقد الجثة في وضع قرفصائي على جانبيها بدون اتجاه محدد. وقد عُثِرَ على بقعٍ ملونة تُشير إلى ملابس وأغطية ووسادات ومساند، لكن لا وجود لطلاء وجه مع أنَّها وُجِدَت وسط القرايين. وقد تنوعت المجاميع الجنائزية مثل جرار الفخار وتمائيل أنثوية من الفخار تُمثل أروع الإبداعات. ورُغم إنَّ وظيفتها المحددة لازالت عُرضة للنقاش، فإنَّها تُشير إلى تطوُّر ملموس بلا شك في المفاهيم الجنائزية. وُجِدَت في المقابر هياكل كلاب، وهياكل أغنام، إلى جانب جماجم ثيران. كما وُجِدَت مدافن الأطفال داخل جرارٍ كبيرة في داخل موقع الإقامة. ومن أهم الملاحظات لهذه المدافن احتوائها على فردين أو ثلاثة، بالإضافة إلى وجود القرايين البشرية في تلك المدافن التي تحتوي على ثلاثة هياكل. إذا تأكد ذلك ولم تكن مدافن جماعية، فإنَّ تلك تكون الحالة الأولى لنشوأة عادة الضحايا البشرية التي كان لها انتشار في الأزمان اللاحقة، بخاصة في كرمة، إذ لا لوجود للقرايين والتعقيد المتزايد للمقابر وترتيبها في طبقات، كلها عناصر تُشير إلى مجتمع طبقي أخذت فيه عناصر الترتيب الاجتماعي في البروز. (Reinold, 2001:2-6)



الشكل: (7) التخطيط الداخلي لأحد مقابر كدركة) معدلة عن (Renold , 2000 :

غير أنَّ الأبحاث الأثرية التي تمت جنوب الشلال الثالث ركزت بصورة رئيسية على مدافن كدركة عند وادي الخوي، على الطرف الشمال الشرقي لحوض كرمة الذي يمتد نحو 30 كلم في اتجاه شمال جنوب ولنحو 15 كلم باتجاه شرق غرب، شمال البريق. ويُعتبر موقع كدركة امتداداً لمدافن العصر الحجري الحديث. ومن خلال ملاحظات المنقبين تم التعرف على عناصر جديدة تتعلق بتوزيع المدافن، وكذلك اتجاه الجثمان. ويُلاحظ أيضاً غياب البناء العلوي. أخذت الحفرة الشكل الدائري ووُضِعَ الجثمان في وسط الحفرة على الوضع القرفصائي على الجانب الأيمن في اتجاه شرق غرب، وأخذت الجمجمة الاتجاه الشرقي، بينما الوجه يتجه شمالاً، وتم لف الجثة بجلد البقر. وتتضمن المدافن العديد من الأثاث الجنائزي مثل العقد المنظوم الذي وُجِدَ على عنق المتوفى، وكذلك وُجِدَت بعض الأسورة من سن الفيل (الأشكال: 8،9) وبصورة عامة وُضِعَ الأثاث الجنائزي في الجانب الشمالي للحفرة، وشمل كافة أدوات الزينة المصنوعة من الأصناف البحرية ومساحيق التجميل، وكذلك وُجِدَت الأواني الفخارية والفؤوس الحجرية المصقولة. (Ibid: 7-8)



الشكل (8): مدفن ثري بالاثاث لإمرأة مسنة يحتوي العديد من الادوات العظمية، أدوات حجرية في موقعها الأصلي، مواد خام من العظام، لوحة حجرية، رقائق الصوان، سوار من عاج فرس النهر، تم جمع وتخزين معظم المواد العظمية في ظهرها كنوع من صندوق الأدوات) عن (Sellier et al. 2020:70)



الشكل (9) قبر لبالغ يظهر تركيزاً عالياً لشظايا المواد الخام المعاد تجهيزها، وأداة شبة دائرية مثقوبة، وخرز من العقيق عُثِرَ عليها في عددٍ من المدافن بجبانة كدركة (عن Hala Alarashi et al. 2021:4)

مواصلة لهذه الجهود تم الكشف عن موقع البرقة الذي يقع في سهل طيني على مسافة 15 كلم شرق مدينة كرمة القديمة، وبالقرب من سهل الصحراء المنبسط، وقد نُسبت إلى فترة العصر الحجري الحديث، حيث وُجِدَت المدافن على قمة عالية وعلى مستوياتٍ متعددة، ومعظم هذه المدافن تعود إلى البدايات

الأولى من العصر الحجري الحديث، حيث كانت مقابر في غابة التعقيد (Honegger, 2004:27) وقد تم العثور على مجموعةٍ من المقابر ظهرت على السطح، لذلك أخذت هذه المقابر الأولوية في الحفريات، حيث تم الحفر في منطقتين. حُفرت المنطقة الأولى في مساحة تقدر بنحو 64متر² على الجانب الشرقي، بينما أخذت المنطقة الثانية مساحة تقدر بنحو 168متر² على الجانب الغربي. أثبتت الحفريات وجود كثافة عالية من المدافن تفاوتت في أعماقها، حيث وجدت الجثة مطروحة داخل الحفرة، وأحياناً أخرى أُحيطت الجثة بسلسلةٍ من ألواح الحجارة الرملية. كما يُلاحظ أيضاً غياب البناء العلوي والسفلي لهذه المدافن. وفي أغلب الحالات وُجدت الجثة على الوضع القرفصائي على الاتجاهين الأيمن والأيسر، وتباين اتجاه الدفن من حالةٍ إلى أخرى ولم تتبع اتجاهاً محدداً. ولا يُوجد أي أثاثٍ جنائزيٍّ موضوع داخل المدفن. (Ibid: 29-30) كذلك تم الكشف عن المدافن، تقع قرب دنقلا، تعود إلى فترة العصر الحجري الحديث، تقع المدافن بالقرب من منطقتي الخندق وإيماني على مسافة 5 كلم شمال الشمال الشرقي لموقع الكوة، وفي نهاية الجزء الشمالي لحوض السليم (Sandro and Donatella, 2001:11-14). ومن خلال الموسم الأول تم الكشف على أكثر من مائة مقبرة. أُجريت أولى الحفريات لعدد ثلاثين مقبرة. منها 14 مقبرة لذكور، و10 مقابر لإناث، و3 مقابر تعذر تحديد جنس الهيكل فيها. وكذلك عُثر على مقابر تحتوي على 6 أطفال اثنان منهم في سن الرضاعة. ومعظم مدافن هذا الموقع مدافن فردية عدا المدفن 7 الذي احتوى على هياكل إناث، وهياكل لأفراد دون سن الرشد. ترقد الجثة بصفةٍ عامة على الجانب الأيسر في اتجاه شرق غرب. وفي حالاتٍ قليلة أُودعت الجثة على الجانب الأيمن. ولم تكن هنالك ضوابط محددة للدفن، حيث أخذ الهيكل الاتجاه الشرقي والغربي، واتجاه آخر إلى الشمال الغربي. (Ibid: 11-13) وكشف الموسم الثاني عن مقابر تم الحفر في أكثر من 33 مدفن بصورةٍ متواصلة، وتضم المقابر عدد 13 هيكلاً لغير الراشدين، و7 هياكل للأطفال، و4 هياكل للأطفال رُضع، و12 هيكلاً لذكور، و7 هياكل لإناث. وأغلب نوع المدافن هو وضع الجثة بمفردها داخل المدفن. ومعظم الأثاث الجنائزي وُجد على الهيكل الذي أخذ الشكل القرفصائي على الجانب الأيسر، في إتجاه شمال جنوب، والرأس أخذ الاتجاه الجنوبي. كذلك تم العثور على فؤوس حجرية وقوالب من حجر الصوان، وأدوات مصنوعة من العظام. وكذلك تم العثور على ثلاثة أقذاحٍ كبيرة، وأسورة حجرية وُجدت على الساعد الأيسر للمتوفى، بجانب عقد وُجد على عنق المتوفى (Sandro and Donatella, 2002:2-5).

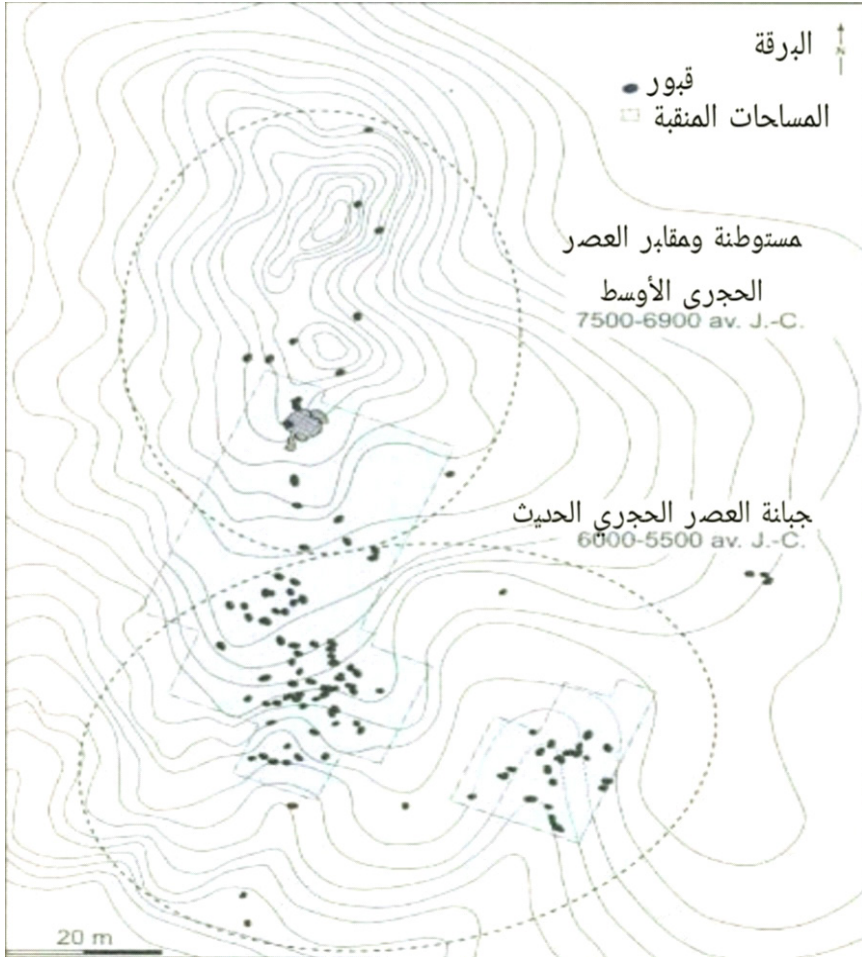
يعود موقع البرقه إلى بدايات العصر الحديث في كرمة، وقد كشف عن مساحةٍ تبلغ أكثر من ألف و سبعمائة متر مربع، وقد حوى مسكناً يعود تاريخه إلى العصر الحجري الأوسط (حوالي 7300 ق. م. وعُثر أيضاً على عشرين قبراً يعود تاريخها إلي عدة قرون مبكرة، ومقبرة من العصر الحجري الحديث تحوي ما يُقارب المائة قبر) 6000 - 5500ق. م. (وتتعلق بمجموعة استئناس لفهم الانتقال بين آخر الصيادين - ملتقطي الثمار، وأوائل الرعاة، فضلاً عن ذلك فقد كشفت الحفريات التي أُنجزت في نواحي البرقة عن وجود عدة مساكن، حيث بين معظمها تواريخ قديمة خصوصاً تلك التي تتعلق بظهور الفخار) نحو 8300ق. م (، وتدجين الأبقار) نحو 6900 ق. م. (Honegger: 2003:239-240) امتد التنقيب في قطاع العصر الحجري الوسيط في البرقة باتجاه الجنوب بهدف إيجاد صلة بالقطاع الذي تشغله جبانة يعود تاريخها إلى العصر الحجري الحديث (الشكل: 10) (شاهنده، 2009:14).



الشكل (10): خريطة تُوضح موقع جبّابة البرقه في فترة العصر الحجري الحديث) عن: شاهنדה، (158:2008)

لم يهدف هذا الامتداد لكشف أساسات مساكن، ولكن أدى بالمقابل لكشف عددٍ من القبور وهي قد حُفرت على أعماقٍ مختلفة في الحجر الرملي النوبي. لم يكن الحفر في الصخر سهلاً، وتحتوي القبور في أغلب الحالات على البعوض طوال القامة ذوي مفاصل عضلية قوية، و قد وُضعت الهياكل في وضع قرفصائي وتخلو القبور من القرايين الجنائزية، باستثناء قبرٍ واحدٍ أحتوى على أصداف النيل (الشكل:11). تم التوصل إلي تاريخ قبر واحد يعود إلى 7000 ق. م ، أي ثلاثة قرون بعد استيطان المكان. من الصعب إذاً أن نربط هيكل المسكن بالقبور من العصر الحجري الوسيط، إن لم تكن تلك القبور معاصرة. بالإضافة لذلك لا يُمكن أن نُنشئ علاقة بين العشرين قبراً، وتلك 15 الجبّانة من العصر الحجري الحديث لأنّ هذه الأخيرة قديمة، إلا أنّ الجبّانيتين تم استردادهما جزئياً، حيث إنّ قبرين على الأقل من العصر الحجري الوسيط أقي ما بين مدفونات أحدث. تعلقت الأعمال الأساسية في العامين الأخيرين بالجبّانة من العصر الحجري الحديث،

حيث نُظفت مساحاتٍ شاسعة لتحديد القبور المحفورة في الحجر، حالياً تم اكتشاف 95 قبراً، 50 منها لبالغين و45 لأطفال، تُوضح نسبة الأطفال البشرية، هذا إن لم يكن هناك عدم توازن بين الرجال والنساء، حيث تم تحديد 9 قبور كانت تحوي ذكوراً، مقابل 35 للإناث، و يُمكن تفسير هذا الأمر أنّ غالبية الرجال قد دُفِنوا لاحقاً في الجبّانة، أو في مكانٍ آخر، أو أنّ لسكان في الأصل تكونوا بهذه الطريقة. للبالغين المتوازنة نسبياً، لأنه لم يكن هناك اختيار خاص للمدفونات بين الموتى، تمثيلاً كافياً لتكوين المجموعة (شاهنده، 15:2009 14-



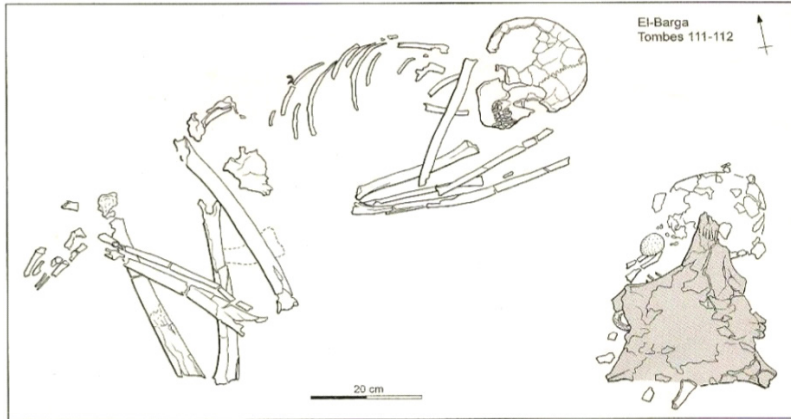
الشكل: (11) خريطة تُوضح مواضع وتوزيع المدافن بجبّابة البرقا في فترة العصر الحجري الحديث عن: شاهنده، (160:2009)

تم حفر القبور في العديد من الحالات في الحجر الرملي، أحياناً في حفرة عميقة. كان وضع الأجساد و اتجاهها متنوعاً مع أنّ الوضع القرفصائي كان الأكثر انتشاراً. أما القرايين المدفونة مع الميت فهي عبارة عن أواذ، وأساور مصنوعة من عاج فوس، النهب، وقلادات أيضاً، أقراط و لعل وفخار و خواتم و حجاب وغيرها.

لم نخلص بعد إلى التنظيم العام للجبانة، ومع هذا برز تجمعان مميزان، وفقاً للتأريخ بكربون 14 وهما معاصران ولا يُشيران إلى أي مراحل متعاقبة لاستخدام المكان ونجد في هذين التجمعين قبرين أو ثلاثة الأكثر غنى بالأثاث الجنائزي) الشكلان: 12، 13 من بين هذه القبور الغنية قبر يخص امرأة يبلغ عمرها أكثر من عشرين عاماً. و يظهر من بين الأشياء العديدة التي يحتويها القبر أدوات وأسلحة تخص نشاطات رجالية بصفة عامة، مثل الفؤوس والحراش، و يُمكن أن يُفسر وجود مجتمعات نسائية، أو قليل من المجتمعات حيث وضع المرأة فيها متقدماً (المرجع السابق). (15):



الشكل: (12) مدفن يعود للعصر الحجري الحديث بموقع البرقة (عن: شاهنדה، 2009: 169).



الشكل: (13) مدفن يعود للعصر الحجري الحديث بموقع البرقة
(عن) Honegger M, 2006, Tombs 111-112 :

نجد أن هنالك اختلافات أساسية بين القبور التي يعود تاريخها للعصر الحجري الوسيط، والجبانة التي يعود تاريخها إلى العصر الحجري الحديث من جهة، فإن عدداً قليلاً من القبور فقير من ناحية الأثاث الجنائزي، وكلها متطابقة وهنالك جبانة حقيقية يُوجد فيها على الأقل مائة قبر، ودائماً مجهزة بالأثاث (الشكل 14): دالة على ظهور التمييز الاجتماعي، ويجب يوضع هذا التحوّل في الاعتبار بداية ظهور تربية الحيوان، وهو من أقدم الشواهد على مستوى القارة الإفريقية والتي وُجدت في وادي النيل الأوسط، في نبتة بلايا في مصر، وفي كرمة) المرجع السابق.(15: كان وجود الوضع في العصر الحجري الحديث لجبانة البرقة -حتى شتاء 2004 -2005 مفترض بسبب وجود أدوات مصنوعة من الحجر المصقول (فؤوس، فلدات، أقراط، لولب)، وهي غير مألوفة في إطار العصر الحجري الوسيط، وجاء الاكتشاف الأخير في موسم 2004-2005م مؤكداً هذا الافتراض الذي يتعلق بقبر رجل، عُثر بالقرب منه على قبر طفلٍ وضعت فوقه جمجمة بقرة داجنة. أعطت نتائج اختبار بواسطة كربون 14 تاريخاً في حدود 7500ق.م، مما جعل هذا الموقع إحدى أقدم مواقع العصر الحجري الحديث في وادي النيل، مع أن هذه التواريخ لا تتطابق مع المرحلة الأولى للعصر الحجري الحديث في المنطقة. في الواقع فإن هذه الجبانة كشفت عن تحولاتٍ تقنيةٍ واجتماعيةٍ أُنجزت بامتياز، ويمكن أن نشك في أن بداية الرعي كانت نتاج مرحلة سابقة) المرجع السابق (16):



الشكل (14): مدفن لإمرأة يحتوي علي أثاث جبائزي من سن الفيل يعود للعصر الحجري الحديث بموقع البرقة

عن (Honegger M .2013, El-Barga “6000-5500” :

وفي محاولة أثبات هذا التنظيم الاجتماعي ركزت بعض الدراسات في مواقع العصر الحجري الحديث بالسُودان بشكلٍ أساسيٍّ على الأثاث الجنائزي، أو محتويات القبر. وهنا كان الهدف الأساسي هو التعرف على التباين الاجتماعي بين سكان العصر الحجري الحديث، وظهور المجتمعات المعقدة في المنطقة، وكمثالٍ لذلك دراسات ليخ كريزانياك في موقع الكدرو على بعد 48 كلم شمال الخرطوم والذي قُسمت مقابرُه المبكرة على هذا الأساس إلى أربعة أصناف وفقاً لثراء الأثاث الجنائزي (صادق، 2020:128). كما تم الاهتمام بالتوزيع المكاني لهذه المقابر بالجبانة. إنَّ تطبيق هذا النوع من المنهج، على أية حال، اعتمد بشكلٍ كبيرٍ على اتساع المقبرة، وعدد القبور التي يُمكن دراستها. وبعد دراساتٍ متواصلةٍ بالمقبرة استمرت على مدى أكثر من 30 عاماً تم التعرف على التكوين الاجتماعي لسكان العصر الحجري الحديث بالمنطقة كما تعكسه مقبرة الكدرو على أنه يتكون من أربعة درجات اجتماعية على رأسها المجموعة التي كانت مقابرها هي أغنى المقابر بالأثاث الجنائزي، والتي أطلق عليهم كريزانياك لفظ (الصفوة) وقد جادل كريزانياك بأنَّ المدفن "يعكس التركيب الاجتماعي العام للمجموعة الإنسانية المحلية. كما افترض بأنَّ أغلب قبور الصنف الثالث المترتبة في أجزاء معينة من المقبرة تُمثل "قبور الأفراد الذين يعودون إلى نخبة مجموعة العصر الحجري الحديث هذه، بينما تعود المقابر المبعثرة القليلة الأثاث أو التي لا تحتوي أي نوعٍ من الأثاث الجنائزي) الشكل (15): إلى أفراد من الطبقة السفلى للهرم الاجتماعي لهذه المجموعة (المرجع السابق). (143-142):



الشكل: (15) قبر لفرد من العصر الحجري الحديث بموقع كدركة مصحوبا بتضحيةٍ بشرية (عن: صادق، 2020:143)

تبني توجه مختلف في تنقيب مقبرة كدركة بالقرب من موقع كرمة الأثري وفي موقع الجبلي شمالي الخرطوم. ففي هذين الموقعين كان هناك اهتمام أكبر بالمنهج الأثنوبولوجي، وتحليل وضعيات الأثاث الجنائزي بالمقابر، واتجاه الجثمان في جبانة كدركة، بينما حال العدد الصغير لمدافن العصر الحجري الحديث في مقبرة الجبلي من إجراء أية دراسة من هذا النوع الأخير، وتم الاتجاه عوضاً عن ذلك لدراسة الجبانة بالاستعانة بعلم الأثنوبولوجيا الطبيعي، وكيمياء العظام. (Coppa: 1988) وقد ساهم الاتجاه الأخير في التعرف على التغيرات في البناء الغذائي لمجموعات مختلفة في نفس الجبانة، وبالتالي اقتراح نموذج لنشاطاتهم الاقتصادية الخاصة وأنماط استيطانهم (Caneva: 1994: 8؛ صادق، 2020: 144).

إضح لنا هنا أنه وبالرغم من تطور دراسات ومناهج عملية ونظرية خاصة في دراسة العادات الجنائزية في السنوات الأخيرة والتي تركز على أن المقبرة يمكن أن تساهم في معرفة العقيدة والسياسات الاجتماعية للسكان، فإن الحالة السودانية كما تعكسها التوجهات العملية والنظرية للباحثين في جبانة العصر الحجري الحديث تبدو مختلفة قليلاً. فالمناهج المستخدمة إما أن تركز على تفسير الأثاث الجنائزي، أو على المدافن نفسها كدليل للنظام الاجتماعي (صادق وعباس، 2006) وكلا المنهجين استخدمتا في دراسة جبانتي الغابة والكدادة، الميزة الرئيسية للمواقع الأربعة في الكدرو، الغابة، الكدادة، وكدركة كانت وجود بضعة مقابر تحتوي على أثاث جنائزي غني قد عكس نوع من المركز الاجتماعي (صادق، 2020: 144) وبذلك فقد أدى هذان المنهجان إلى التسليم بالنتائج التالية لدى كثير من الباحثين في هذا المجال وهي أن نوعية الأثاث الجنائزي تشير إلى المركز الاجتماعي. بكلمات أخرى، إن التغيير في ممارسات الدفن يعكس تغيراً في المركز الاجتماعي. درجة التشابه بين ممارسات الدفن في المناطق المختلفة تعكس وجود علاقات ثقافية محلية. من الواضح أن عملية التفاضل الاجتماعي حدثت في منطقة الخرطوم أثناء الفترة الطويلة السابقة للحياة المستقرة وبسبب التركيب الاجتماعي للمجتمع الرعوي. لممارسات الموت مهما يشكل التنظيم المكاني للمقابر داخل الجبانة بعداً مثلاً توزيع المقابر في مقبرة الكدرو) المرجع السابق. (144: فبالتالي فإن التقارير المنشورة عن مواقع الدفن عادةً ما تحتوي بالضرورة على كشف المحتويات الممل، الذي يُناقش بتفصيل البقايا المادية، لكنه ناد ما يتناول المفاهيم الجنائزية والمعتقدات نفسها) صادق وعباس، 2006 ، صادق، 2020: (146) ومع غياب دلائل البناء في مواقع العصرين الحجري الوسيط والحديث في السودان فقد مثلت المدافن بديلاً ثقافياً مهماً لدراسة المجتمع وتركيباته. وهو الحال نفسه بالنسبة لدراسة مواقع ما بعد العصر الحجري الحديث في أقصى شمالي السودان في فترة ثقافة المجموعة (أ)، مع تركيز متساو على المدافن والمباني في الفترات اللاحقة التي تتميز بنشاطٍ بنايٍ واسع خاصة في فترة حضارة كرمة (1500 ق.م- 2500 ق.م) (صادق، 2013: 40).

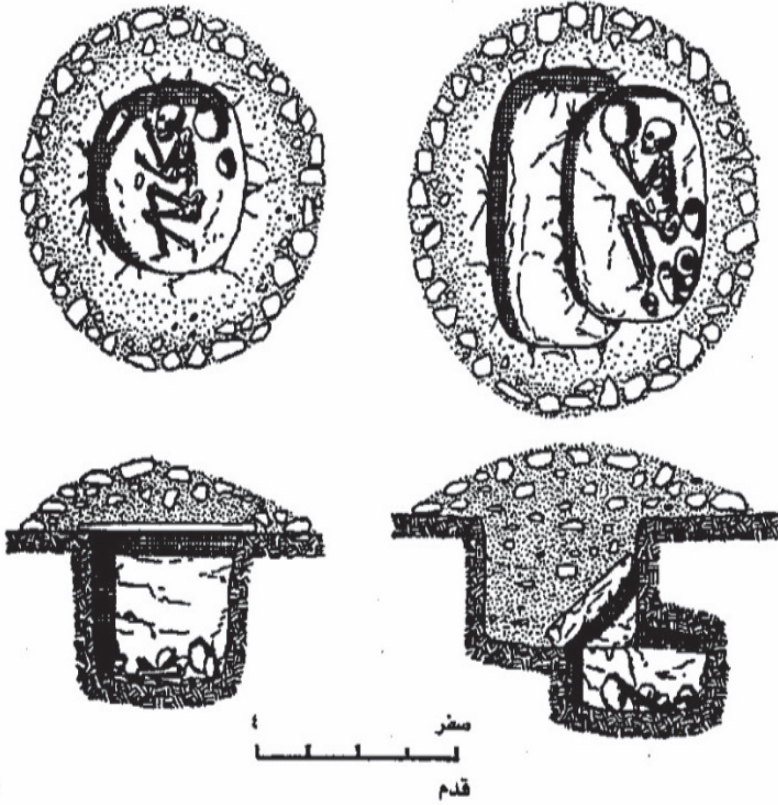
العمارة الجنائزية في العصر البرونزي:

أعقبت فترة العصور الحجرية في السودان القديم حقبة العصر البرونزي وهي فترة أشار إليها المنقبون بما يعرف أحياناً (بالمجموعات النووية) أعطائها مكتشفها (رايزنر تسلسلاً بالحروف اللاتينية

(...A,B,C) التي كانت ذات ثقافة مختلفة عن الفترات السابقة لها. وتحتوي هذه الفترة ثلاثة من المجموعات) الرئيسية وهي الفترة التي عاشتها مجموعات لم تعرف الكتابة، ولكنها عاصرت مجموعات كتابية ذات علاقة مباشرة بها. وقد شهدت ممارسات دفن خاصة. وهذا ما سنعرض له بإيجاز من خلال العمارة الجنائزية لثقافة كل مجموعات) عبد الله، 2010: 36).

العمارة الجنائزية لثقافة المجموعة (أ): (A.group):

ظهرت خلال أخريات الألفية الرابعة ق.م ثقافة مميزة في شمال السودان تم التعرف عليها من خلال المسح الأثري الذي سبق تعليه خزان أسوان، حيث أسماها مكتشفها رايزنر G. A. Reisner ثقافة المجموعة (أ) ووصفها بأنها أول استيطان في بلاد النوبة وهي معاصرة لعهد الأسرة الأولى في مصر نحو (3100)، حيث لاحظ تشابه فخار المجموعة (أ) بالفخار المصري المعاصر لتلك الفترة (Adams,1977:118) وأن معظم المكتشفات الأثرية لهذه المجموعة كانت في المنطقة ما بين الشلال الأول في الشمال، و منطقة بطن الحجر جنوب الشلال الثاني. ومن أهم مميزات المجموعة (أ) الفخار الذي عُثِر عليه داخل المقابر. أستعمل إنسان ثقافة المجموعة (أ) نوعين من القبور، ونجد أن الغالبية العظمى من القبور المجموعة (أ) غير مصاحبة لبنايات علي سطح الأرض، ولم تكتشف عن ممارسة بناء ركام فوقي أو هياكل علوية فوق القبر. وبالنسبة للبناء السفلي اخذ النوع الأول حفرة بيضاوية بسيطة الشكل محفورة بعمق نحو 0,8 متر، وأخذ النوع الثاني وهو أقل شيوعاً، حفرة بيضاوية الشكل محفورة بعمق نحو 1,3 متر، وبها غرفة دفن على جانب واحد (الشكل: 16)، وفي الحالتين أخذت الجثة الشكل القرفصائي على الجانب الأيمن، مع إتجاه الرأس ناحية الغرب، وتُحيط بالجثة مواد للاستعمال اليومي، مثل الأواني الفخارية، حجارة المرمر، ولوحاتٍ للتلوين من المرمر، والرمل الحجري. وتزيّنت الجثة بمجوهراتٍ بسيطة، مثل الأساور من الصدف، وحبّات عقود من العقيق الأحمر ومحار. أما الفخار الذي وُجد داخل القبر كان أكثر تطوراً في الصنع. وأكثر الأنواع شيوعاً كانت الجرار الكبيرة لاحتواء السوائل وجرار كبيرة مستديرة حمراء السطح لها قاعدة استخدمت لحفظ الطعام. وكذلك وجدت أقذاح عميقة التجويف وألوان حمراء ذات لمعان، رقيقة السطح سوداء مصقولة من الداخل وبعض التلوين الزخرفي بالخارج. ربما استخدمت هذه الأواني لأغراض الأكل. (Ibid: 127-130) واستمرت ثقافة المجموعة (أ) في شمال السودان حتى نهاية الأسرة المصرية الثانية نحو 2800 ق.م، ثم أخذت هذه الثقافة في الاضمحلال، وقد عزا البعض ذلك إلى غزوات الملوك المصريين ومحاولة مد سلطتهم جنوباً. ولعل الغزوة التي سجلها الملك سنفرؤا في الأسرة المصرية الرابعة لمنطقتهم قد كتبت نهاية تلك الحضارة. (Emery, 1965:124-127)



الشكل: (16) تخطيط مقابر المجموعة الحضارية (أ) عن (Adams, 1977: 128):

العمارة الجنائزية لثقافة المجموعة (ب) (B. Group)

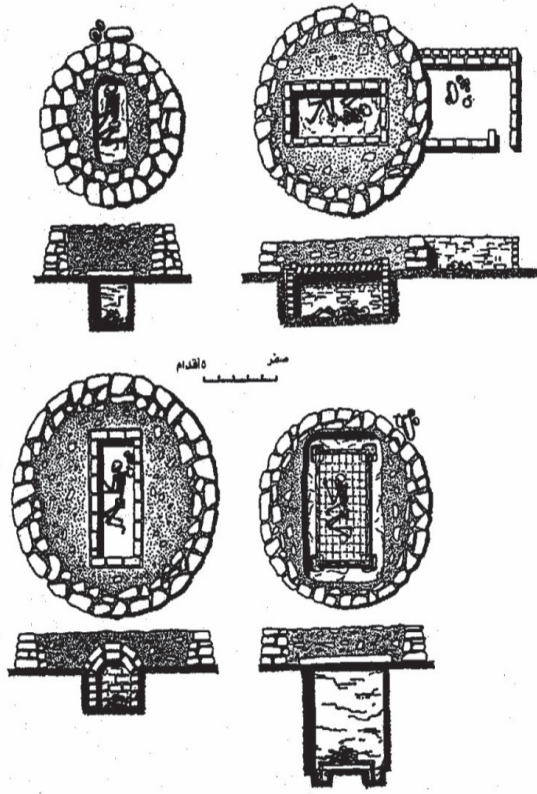
تم التعرف على ثقافة المجموعة (ب) أولاً في مجموعة المقابر في الجبانة رقم (7) في موقع الشلال (Reisner, 1910:320)، فهي الوحيدة من مجموعات رايزنر Reisner التي لم يُعثر على أثارها في المسح الآثاري المتأخر. وقد عاصرت ثقافة المجموعة (ب) نهاية حقبة الدولة القديمة في مصر. (Sherif, 1981:248) أما معاصري رايزنر Reisner، من بينهم فيرث C. M. Firth فقد قبل تعريف رايزنر بوجود المجموعة (ب) (Ibid: 70) غير أن جونكر Junker يري أن أفراد المجموعة (ب) ينتمون إلى فترة العلاقات الضعيفة للمجموعة أ (وهذا ما أورده آدمز. (Adams, 1977:71) هنالك اختلاف حول حقيقة وجود هذه المجموعة التي افترضها رايزنر حيث يري بعض الباحثين الآثاريين إن المجموعة (ب) ليست مجموعة منفصلة ذات ثقافة منفصلة. (Smith, 1966:71).

العمارة الجنائزية لثقافة المجموعة (ج): (C. Group):

بنهاية عهد الدولة المصرية، وسقوط السلطة المركزية، وسيادة الفترة الوسيطة الأولى، أو فترة الاضمحلال الأولى، كما يعكسها للفقر الحضاري، وعدم توفر المعلومات الكافية عنها نحو -2150 2240 ق.م. (Junker, 1919:35). ظهرت في منطقة النوبة السفلى ثقافة محلية، أخذت مميزات مختلفة من المدافن والموجودات الأثرية، عرفها مكتشفها بثقافة المجموعة (ج) (Reisner, 35:1910). وقد استمرت هذه الثقافة في ذلك الجزء من وادي النيل حتى فترة تمصير النوبة تمصيراً شبه كامل في القرن السادس عشر قبل الميلاد (Junker, 1919:22-31). وتمتد مواقع ثقافة المجموعة (ج) من الكبانية شمال أسوان حتى عكاشة جنوباً (Emery, 1965:123).

أما فيما يخص بالعمارة الجنائزية، نجد أن الاستغراق في الحياة الأخرى، المرئي سابقاً في القبور الخاصة بثقافة المجموعة الأولى، يتجسد بتزايد خلال ثقافة المجموعة (ج) هنا كما يري في جوانب كثيرة أخرى. ويمكننا أن ندرك استمرارية لمأثورات سابقة، وفي نفس الوقت نتعرف على التأثير المصري (عبدالله، . 2010: 38-39) أخذ البناء الفوقي لثقافة المجموعة (ج) مراحل من التطور، اتخذت أقدم المراحل شكل أكوام من الحجارة. وجاءت المرحلة التالية بوجود من بناء حجري ارتفاعه نحو ثلاثة أقدام، وقطرها نحو خمسة عشر قدماً كبنية فوقية للقبور. وتملاً هذه البنية بالحصى والرمل وفي بعض الأحيان يُغطى في القمة بألواح من الحجر ثم ظهرت بعض التغيرات في البنية الفوقية حيث أصبحت البنية الفوقية صغيرة نسبياً مع تحسن في البناء. و مرور الزمن أصبح البناء العلوي أكثر انتشاراً، إلا أنه كان أقل عناية من البناء السفلي للمقبرة. وشهدت الفترات الأخيرة لثقافة المجموعة (ج) تطوراً واضحاً في عملية البناء العلوي، حيث بنيت حجرات مستطيلة من الطوب الأخضر على واجهات الجوانب الشرقية للبناء العلوي لبعض المدافن وذلك لوضع القرايين عليها (الشكل. 17) (Nordstrom, 1962:39-40): أو ربما كانت أصل فكرة المقصورة الجنائزية في الأهرامات النبتية المروية (أحمد، خضر: إفادة شخصية. 2009).

بالنسبة للبناء السفلي لمدافن المجموعة (ج) هنالك فرق طفيف عند مقارنة القبور التابعة لثقافة المجموعة (أ) والمجموعة (ج). فنجد أن أقدم المدافن لثقافة المجموعة (ج) عبارة عن حفرة بيضاوية، أو مستطيلة الشكل بأركان مستديرة. ثم أخذت المقابر شكلاً آخر من التطور وهو وجود بعض المقابر مبنية بألواح حجرية والبعض الآخر بُني بالطوب الأخضر في شكل عمودي، وكان مغطى بخشب، أو بلاط حتى يحفظ الجثة في غرفة منفصلة تماماً. وهذه الطريقة جاءت أكثر تطوراً في نهاية المجموعة (ج)، وذلك عندما وضعت الجثة بين غرفة من الطوب أخذت الشكل المستطيل مغطاة بسقف من الطوب تُشكل الجزء العلوي للقبور (Adams, 1977:156-157).



الشكل: (17) تخطيط مقابر المجموعة الحضارية (ج) عن (Adams , 1977 : 128):

تُوضع الجثة داخل الحفرة على الجانب الأيمن في وضع قرفصائي أو متقرفص جزئياً. يتجه الرأس إلى الشرق عادة، كما تُوجد مساحة بين الجثة وجنات المقبرة، إضافة إلى ذلك تُوضع القرايين أو الأثاث الجنائزي بطريقة غير منتظمة في البدايات الأولى لثقافة المجموعة (ج). ولكن بمرور الزمن أصبح الأثاث الجنائزي أكثر تطوراً، حيث وُضعت القرايين بطريقة محددة داخل القبر. وكذلك وُضعت في شكل قاعدة للمدافن، ومن المحتمل أن يكون الأثاث الجنائزي الذي وضع فوق سطح المقبرة شواهد أو إحياء طقوس معينة، مثلما كانت منتشرة لدى المجموعات المصرية في تلك الفترة. (Nordstorm, 1962:39-40)

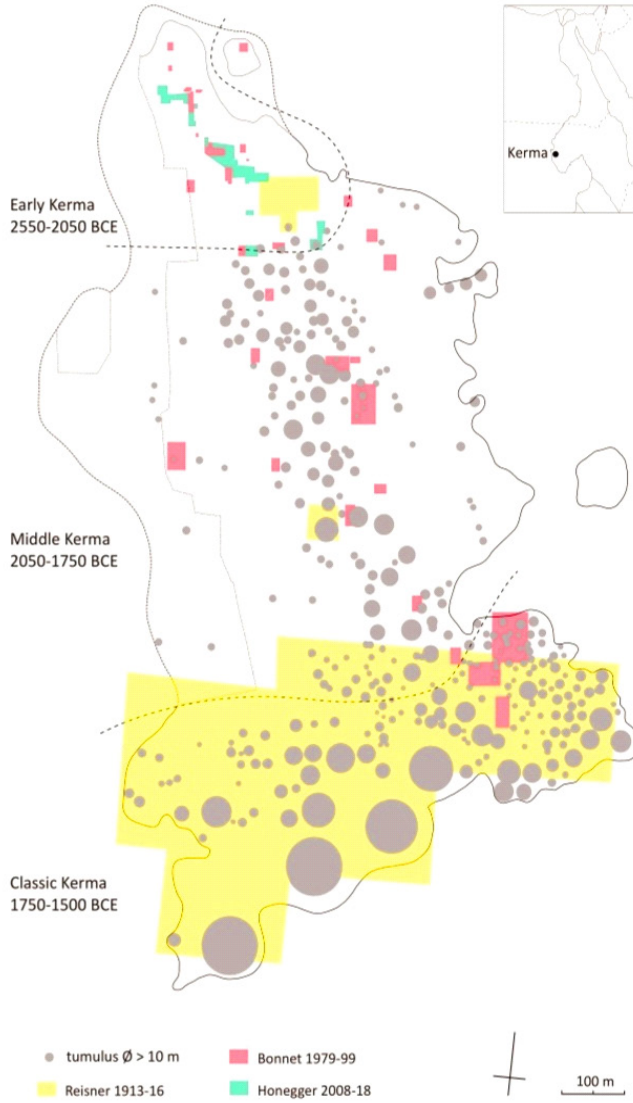
كذلك احتوت مدافن المجموعة (ج) على مجموعة من الأثاث الجنائزي، مثل الفخار بإشكاله المختلفة، وأدوات حجرية وعظمية، و أسورة من سن الفيل وأصداف وخرز، وكذلك وجد جزء من الجلد وأقراص من اللؤلؤ في شكل أسورة للنساء، وأشياء أخرى، ووُجدت مرآة صغيرة من البرونز بجانب أسلحة تمثّلت في خنجر، سيوف وفؤوس قتالية. (Save-soderbergh, 1956:48) وفي بعض المدافن وُجدت

الأضاحي الحيوانية، حيث دُفنت في الجبانات المتأخرة لهذه المجموعة، وشملت أدلة الأضاحي هياكل لضان وماعز وغزلان وكلاب. كما وُجِدَت بين ممرات القبور مجموعة من الأضاحي البشرية. (Adams, 1977:156) وفي أحياناً أخرى وُجِدَت في بعض المدافن التي أخذت شكل الحفرة الضحلة، جماجم الأبقار والضأن والماعز، كانت جماجم البقر عادة في شكل مجموعات من ستة أو أكثر مرافقة للمدافن الأخيرة لهذه المجموعة. (Ibid:156)

أخذت ثقافة المجموعة (ج) حيزاً كبيراً من الجدل والنقاش من قبل علماء الآثار، حول أصلها وإلى أي جماعةٍ إثنيةٍ تنتمي، ومن هذا المنطلق ظهرت ثلاثة افتراضات نظرية حول أصلها. أولى هذه الفرضيات ترجع بأن هذه الثقافة تُعتبر حلقةً لاحقة في تطوُّر ثقافة الأطراف الشمالية للسُودان القديم. أي مواصلة لأسلافهم من المجموعة الأولى. (Reisner, 1910:333) ويُرجح رأي آخر أنّ هذه الثقافة جاءت إلى بلاد النوبة مع وفود جدد، ويختلف مؤيدو هذا الرأي فيما بينهم حول قضية تحديد الموطن الذي جاء منه هؤلاء الوافدون الجدد. فمنهم من يرى أنّ هؤلاء هاجروا إلى النوبة السفلى من الصحراء الشرقية أو منطقة عطبرة (Firth, 1915:11-12). وآخرون يعتقدون إنهم اندردوا من الغرب خاصة ليبيا. (Kirwan, 1935:4) بينما الافتراضية الثالثة رفضت الرأي الذي يقول ظهورهم نتاج لهجرة، وترى أنّ أصل هذه المجموعة هو عبارة عن نتاج تطوُّر محلي. (Sherif, 1981:252-253)

العمارة الجنائزية لحضارة كرمة:

في نحو 2500 ق-م ظهرت في النوبة العليا مملكة حقيقية يقع مركزها جنوب الشلال الثالث شكلت حضارة عرفت بحضارة كرمة (Reisner, 1923a) وتشتمل حضارة كرمة المنطقة من الشلال الثاني حتى الرابع (رينولد ، 91:2000) عُرِفَت حضارة كرمة بصورتها الكاملة من موقعها على الضفة الشرقية للنيل، على بعد 35 كلم جنوب الشلال الثالث. وقد نُفِذَت الاكتشافات الأثرية في هذه الحضارة على مرحلتين، المرحلة الأولى التي قام بها عالم الآثار الأمريكي رايزنر في الفترة من (1913 م-1916 م). حيث قام بدراسة الجبانات والمعابد الجنائزية. أما المرحلة الثانية بدأت عام 1975م، وقامت بتنفيذها بعثة جامعة جنيف السويسرية، بقيادة شارلس مايستر ثم بعد وفاته خلفه شارلس بونيه. وبدأت هذه البعثة تعمل على تغيير الكثير من المفاهيم (Bonnet, 1978:107) وفي عام 1978م اقترحت الفرنسية غراسيان (Graticn) تسلسلاً تاريخياً جديداً لثقافات كرمة تقوم على تحليل مدافن جزيرة صاي الموجودة جنوب الشلال الثاني، فقد ميّزت ثلاث أطوار لحضارة كرمة (كرمة القديمة نحو 2050-2500ق.م) وكرمة الوسطى نحو (1750-2050ق.م) وكرمة الكلاسيكية نحو (1500-1750ق.م). وقد أمكن التحقق من تطوُّر الأعراف الجنائزية والمحتويات المرتبطة بها في مقابر أخرى لاسيما المقبرة الشرقية (الشكل:18)) بونيه، (1996:38 حيث تشير المدافن المنتشرة التي وُجِدَت في مواقع متفرقة على إمتداد حضارة كرمة والتي يُمكن تأريخ مقابرها بنوعٍ من الدقة. المدافن الشمالية الصغيرة تنتمي لفترة كرمة القديمة، في حين تنتمي المدافن في المنطقة الوسطى إلى فترة كرمة الوسيطة، وتنتمي تلك القائمة في الجنوب إلى فترة كرمة الكلاسيكية. (Bonnet, 1992:613) هذه الكرونولوجيا الطبوغرافية سمحت للمنتخبين بإعادة تركيب واضح لتطوُّر حضارة كرمة المادية، بخاصة مصنوعات الفخارية (Ibid: 613).



الشكل (18): تخطيط أفقي لجبانة كرمة الشرقية) عن (Honegger, M and Collab, 2019):

العمارة الجنائزية لحضارة كرمة القديمة: (Early Kerma) :

تمركزت قبور كرمة القديمة على الطرف الشمالي من المقبرة) مقابر كرمة (ونسبة لكتافة القبور فإن المساحة التي تغطيها المقبرة تبدو صغيرة، ويمكن تقسيم البناء العلوي للمقابر القديمة إلى نوعين. إحداهما على شكل دوائر من حجارة الرمل الأسود مثبتة بتراب دُعِمت بالحصى. أما النوع الثاني فيتكون من مجموعة مسلات من الحجارة مرصوفة) الشكلان 19،: (20) على شكل دوائر بحيث تملأ وسطها الداخل بالحصاء. أما

البناء السفلي فيأخذ شكل حفرة يبلغ قطرها نحو -1,2 1,3 متراً، وبمرور الزمن يُلاحظ أن رأس ووسط حفرة المقابر توسعت كثيراً إذ بلغ عمقها نحو -1,5 2 متر وقطرها نحو 8 أمتار، وهي تمثل قمة التدرج) الحاكم و بونيه، 1997 : 167-169).



الشكل (19) البناء العلوي للمقابر القديمة من فترة حضارة كرمة القديمة
(عن Honegger. M and Collab: 2019:7)



الشكل (20) البناء الخارجي لأحد مدافن كرمة القديمة
(Source: <http://artsci.wustl.edu/~anthro/research/shackelford.html>)

ترقد الجثة على الشق الأيمن في وضع قرفصائي، والأيدي عادة، أما الوجه والرأس نحو الشرق في اتجاه شرق غرب، على مفرش من الجلد المدبوغ به ثقبوب بالأطراف، ربما كانت لا تزال الجثة على أسفل الحفرة. وأحياناً تُغطى الجثة بمفرشٍ جلدي بقري آخر لحمايتها ويترك شريط بعرض 3 سم على الحواف كزينة. وثبتت زينة الخرز القيشاني (الفيانس)، أو قشر بيض النعام على قطع الذيل بواسطة سيور جلدية في غاية الرقة، وتلبس على الرجلين نعلين، هذا إذا لم تكن موضوعة على الجنب، وتُزيّن النعل غالباً بتصاميم هندسية محفورة. وكذلك وُجدت مجموعة من الأسورة والقلائد وبها فواصل من الخرز وآخر من بلور الصخور أو الحجارة الصلدة أو العظام. ويحوي الأثاث الجنائزي كذلك بعض السلطانيات الفخارية ودبابيس من الخشب ومراوح من ريش النعام وأختام من الطين المحروق، ولم تظهر أقواس وسهام المحاربين إلا في فترات متأخرة نسبياً. وترقد أوتار الأقواس بين يدي المتوفى، ويحمل على رأسه ريشة مثبتة بواسطة شريط. وقد ظهرت مثل هذه الأشكال بين رسومات الفراغة للجند، ويبدو أنّ الأقمشة الموضوعة على الأحياء ربما كانت للدفن بها بعد الموت (المرجع السابق . 173)

بجانب ثراء الأثاث الجنائزي، أصبحت العادات الممارسة أكثر تعقيداً. فأثناء طقوس الوفاة يُعاد قفل القبر أثناء مراحل متعددة تتخللها موائد طعام، وفي إحدى هذه القبور المبكرة وجد هيكلان لرجلين موضوعين جنباً إلى جنب تبلغ سن احدهما 45 سنة، والآخر 55 سنة، حيث رُتبت على أطرافهما دوائر الحجارة السوداء التي تُعين في تحديد المدفن. وتمثل الأثاث الجنائزي في الخناجر البرونزية، وتشمل الزينة المصاحبة للميت وأشياء أخرى كأسورة العاج، وحلقات الأذن من العظام، أو العقود من الصدف البحري (الشكل 21: وعلى كل جسد تُوجد قلادة من خرز) القيشاني . (وأضيفت لاحقاً الأواني الفخارية إلى المواد التي تُوضع داخل حفرة القبر. وهي تحتوي على مواد مختلفة بلا شك بعضها للطعام والأخرى كانت للدهان والأصباغ. وتبين العديد من العناصر تطوّر الطقوس الجنائزية، فما تزال الخراف التي تُمثل الضحايا الحيوانية، تُوضع على جنوب المتوفى، وتُشارك الأعداد الكبيرة للخراف التي تُدفن في المقبرة. في طقوس مختلفة، وتزدان رؤوس بعضها بقرص مصنوع من ريش النعام، تُثبت على قطعة جلدية تُضع على قمة الرأس، تُثبت القطعة بواسطة جلد لف حول العنق. وهر حبل من الجلد خلال القرون المثقوبة سلفاً، ينتهي بدلايات جميلة من الخرز الملون بتصاميم هندسية بلون أسود أو أبيض على أرضية زرقاء، وتحمل هذه الحزوات زمام مجدول متصل بحبل بجانب حبوب الشعير على أصدافها) المرجع السابق . (-173 178:



الشكل: (21) الأثاث الجنائزي الذي يتكون من أدوات الزينة المستخدمة في فترة حضارة كرمة

القديمة (عن: حاكم و بونيه ، 1997: 174

العمارة الجنائزية لحضارة كرمة الوسيطة (Middle Kerma) :

غدت الشعائر الجنائزية خلال فترة كرمة الوسيطة أشد تعقيداً بونيه، (1996: 39) يتكون البناء العلوي للمقابر من حلقات من الحجارة السوداء رُصت على أكمةٍ ثبتت حشواتها بالحصى. وعلى الجانب الشرقي تتناقص أعداد السلطانيات، كما تُغرّز الأواني الصغيرة بين الفجوات، وتتضاعف أعداد رؤوس الماشية في شكل نصف دائرة) الشكلان (22-23: أو مستطيل على جانب الأكمة، ويرتفع القبر من جهة الغرب على حسب مستوى المحراب التابع له، أما البناء السفلى (الداخلي) فهو عبارة عن حفرة يتراوح قطرها نحو مترين إلى اثني عشر متر، وعمقها بلغ نحو 1.5 إلى مترين. ويكون الكوم الترايبي أي البناء العلوي) الخارجي) ممتداً أكثر من حجم الحفرة على كل الجوانب) الحاكم و بونيه، (1997: 181) يُسجى جثمان المتوفى داخل القبر في وضع شبه مقرص على جانبه الأيمن والأطراف العليا أمام الوجه، والسفلى إلى الغرب والرأس في الشرق، متجهاً إلى الشمال. وبما أنّ هذا الوضع لم يسر على امتداد حضارة كرمة فرما كان له دلالة محددة (Kendall, 1995:56).



الشكل (22): منظر عام لأحد المدافن من عهد حضارة كرمة الوسيطة بالجبانة الشرقية
(عن Honegger, M and Collab, 2019):



الشكل (23): جماجم وقرور الماشية في مدفن من عهد حضارة كرمة الوسيطة
(عن Honegger M and Collab, 2019):

اختلفت المدافن الملكية في الأصل قليلاً من حيث البناء، عن المدافن العادية. كانت حفرة الدفن فيها صغيرة نسبياً، وهو ما يُشير إلى إنها قد تكون حُفرت في عجل حيث كان الحكام المبكرون، شأنهم شأن أتباعهم يدفنون خلال يوم أو يومين بعد وفاتهم. ومع مرور الوقت وتمو سلطاتهم وتزايد ثرواتهم وممتلكاتهم كان هنالك توسع في مدافن حكام كرمة من حيث مظهرها الداخلي والخارجي يتناسب مع كم المرفقات الجنائزية المتزايدة. تطلب هذه الزيادات مد الوقت اللازم لبناء المدافن، وبتالي أدى ربما إلى تأخير الدفن، إن لم يكن مدفنه قد جهز قبل وفاته وهو ما يبدو مستبعداً، آخذين في الحسبان تواتر العواصف الرملية، أو أن يكون قد احتفظ بجثمانه حتى اكتمال تشييد المدفن ومن ثم تجرى طقوس الدفن. ورغم عدم وجود ما يُشير إلى معرفة بأسلوب التحنيط المصرى في كرمة الوسطى، فإنَّ هنالك أسباب تدفع بالاعتقاد بأنَّ ممارسة الاحتفاظ

بالجثمان عن طريق وسائل قد تكون سمة مميزة بالاحتفاظ بمدافن الحكام في أزمان كرمة الكلاسيكية (Reis-ner, 1923:275) كذلك ضمت مدافن كرمة الوسطى مباني مستطيلة صغيرة من الطوب غير المحروق، ارتبطت بها كشف آثار أساساتها واعتبرت معابد صغيرة لكونها فيما يبدو ارتبطت بتبجيل طقوس دفن الموتى في المدافن المجاورة. ومع أن تلك المباني لم تُوجد في كل مدفن كبير إلا أنها شائعة في الجبّانة وازدانت أحجامها مع مرور الوقت وظل اتجاهها بصورة غير متبدلة شمال جنوب مع مدخل يتجه جنوباً. (Ibid: 276-278) وبحلول فترة كرمة الوسيطة أصبحت القرايين سمة دائمة لمدافن كرمة، وتم وضعها بصورة مرتبة في الجانب الشمالي لحفرة الدفن، كما أصبحت العناقيرب المخصصة للجثمان توضع في الجانب الجنوبي للحفرة تقريباً وفي وقتٍ متزامن ظهور تقليد ممارسة القرايين البشرية، وضمت تلك القرايين عادة إناث وفي حالات أطفالاً، ونادراً ذكوراً. ومن خلال الوضع الذي وُجدت عليه الهياكل يبدو واضحاً أن العديدين منهم انزلوا إلى القبر، ليرقدوا إلى جانب المتوفى (الشكل: 24) ، ويُغطون بجلد البقر يُقبروا بجانب القبر. (Reisner, 1923a:70-79)

بجانب الضحايا البشرية وُجدت أيضاً على الجهتين الجنوبية والغربية ضحايا حيوانية، وكذلك وجدت كلاب على أطراف الأسرة (العناقيرب) أو تحت الوسادة الخشبية المثبتة أفقياً على هياكل السرير لمد أرجل المتوفى إليها. وفي نفس المكان وعلى طول امتداد السرير وُضعت الخراف، التي ظلت مستمرة بانتظام في القبور. والعديد من الضحايا الحيوانية المختلفة نُثرت بحيث شملت في أحد القبور نحو خمسة عشر عنزاً لفت رؤوسها إلى الخلف. والقبور الكبيرة تتضاعف فيها هذه الحيوانات وتحمل زينة كالتي وضعت سابقاً تحوى قرص، وريش النعام والحلقات (الحاكم و بونه، 1997: 187).



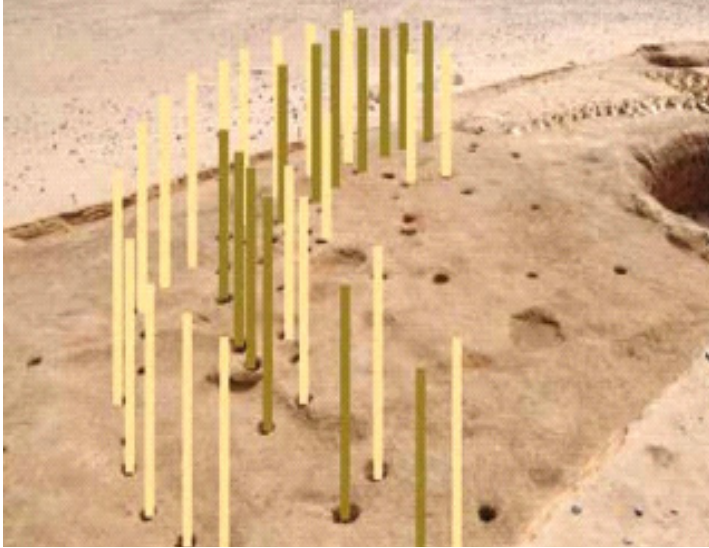
الشكل (24): المتوفى داخل المدفن الرئيسي ويُلاحظ وجود بعض الضحايا البشرية.

/Source: <http://artsci.wustl.edu/~anthro/research>

(shackelford.html)

في الجزء الجنوبي من القطاع (31) قامت البعثة السويسرية بالتنقيب عن واحدة من أقدم المدافن

الملكية بالجبانة الشرقية المعروفة. أشارت نتائج الكربون C14 المشع أن هذا المدفن يعود تاريخه إلى ما بين 2050 BC and 2000 قبل الميلاد، وهو ما يتوافق مع بداية كريمة الوسطى. وهذه النتيجة تؤكد دراسة السيراميك المستورد من مصر، والتي تنتمي إلى نهاية الأسرة الحادية عشرة والنصف الأول من الأسرة الثانية عشرة، في بداية الدولة الوسطى. في هذا الوقت بدأ المصريون في تعزيز حدودهم الجنوبية، حيث بدأوا في بناء سلسلة من الحصون. التجارة مع النوبة العليا ثم اتخذت بعداً جديداً. نسبة الفخار المستورد من مصر يصل إلى 16% في القطاع (31)، ويمكن أن يُضاف إليه تقليد الخزف المصري، ربما تم إنتاجه بواسطة ورش تقع في النوبة السفلى خلال مرحلة كريمة القديمة. (Honegger, M and Collab, 2019:11-12) تم نهب القبور الملكية بالكامل ولم يبق منها إلا بقايا قليلة تدل على وجود آثارها. نفس الوضع لاحظته مساعد رايزنر لأعمال التنقيب بموقع كريمة يُدعى Kemp قبل 100 عام خلال أكبر قبر تم التنقيب عنه في المقبرة (N) بواسطة تشارلز بونيه Charles Bonnet منذ نحو 20 عاماً عندما كان يُنقب عن مقابر كبيرة في كريمة الوسطى. (Ibid: 11-12) ومع ذلك، القبر الملكي في القطاع (31)، كشف ردم الحفر عن عددٍ كبيرٍ من الأواني بما في ذلك العديد من الواردات المصرية. جنوب القبر تم ترتيب كبير عدد الجماجم التي قُدرت بنحو (1400) هذا العدد كبير يدل على قوة الملك المدفون. ومن بين هذه الثيران لُوحظت العديد من الأمثلة ذات الأبواق المشوهة عمداً. إلى الشمال من القبر، هناك وصف لمحاذاة العديد من الثقوب ثلاثة أسوار متوازية على شكل قوسٍ تُحدد منطقة محمية كبيرة) الشكل: (25)، والتي ربما كانت مكرّسة لعبادة الموتى. قاعدة عمود مصنوعة من الحجر الرملي تم اكتشافه على السطح في هذه المنطقة، وهو ما قد يُعادل قطعة خشبية ربما تكون الكنيسة هي الأقدم المعروفة في المقبرة.



الشكل (25): إعادة بناء الأسوار الثلاثة المتوازية الواقعة شمال القبر الملكي
عن (Honegger M and Collab, 2019: 16):

العمارة الجنائزية لحضارة كرمة الكلاسيكية: (Classical Kerma) :

بوصول حضارة كرمة إلى ما يُعرف بكرمة الكلاسيكية أصبح البناء العلوي الخارجي للقبور مميز بدوائر الحجارة السوداء التي رُصت أحياناً في شكل زخرفي كالمثلثات أو خطوط رأسية، واستمرت الحصاة البيضاء تُغطي الفراغات. ولكن في حالة قبور الحكام، يُضاف إلى ذلك حجر من المرمر الأبيض ضخّم بحالته الطبيعية) عبدالله، (2010 وفي القبور الكبيرة يُشيد الجزء العلوي فوق شبكة من الجدران المتوازية. أو شكل أشعة لتثبيت جسم الكوم من عوامل التعرية. ولا نعرف إلا قِبراً واحداً رُصت أرضيته بالطوب حول فتحة القبر (الحاكم و بونيه، 1997:187) وإلى الشمال الشرقي لهذا القبر شُيِّدت مقصورتان ربما ارتبطت بالمدفان التي تُفضي إليها بواسطة ممر. ورُصت رؤوس الأبقار على الجهة الجنوبية للكوم في شكل نصف دائري، ولم تتبع عادة رص الأواني الفخارية خارج القبر. بالمقابل تُشير الأواني التي عُثِر عليها في أماكن داخل المقصورة وأمامها، والكميات الهائلة من الشقف الفخارية المكسرة على الأرض إلى الشكل المعقد للطوقس التي تُدار داخل هذا الجزء من المقابر) المرجع السابق . (190 :

بالنسبة للبناء السفلي(الداخلي) (فهو عبارة عن غرفة جنازية مشيده من الطوب اللبن، وقبل تشييد الكوم الترابي، بني ممر مقسم إلى نصفين في وسط الكوم، في اتجاه شرق غرب، مقسماً المسافة الدائرية إلى نصفين، ويوصل إلى غرفة الدفن المحفورة بالقرب من مركز الكوم على جانب الممر. كما أخذت حفرة الدفن شكلاً مستطيلاً بلغ في مرات عشرات الأمتار طولاً أو أكثر) المرجع السابق: .(192: وعلى طول هذا الممر ترقد عشرات الضحايا البشرية بلغت في أحد الممرات أكثر من 400 شخص. فالدفن في كرمة الكلاسيكية جمعياً يتجاوز أحياناً عدد الأشخاص الضحايا العشرات، بجانب وجود سرير للمتوفى الرئيسي كما وُجِدت العديد من القرابين المتناثرة على المقابر الثانوية، ربما هي أيضاً ضحايا، ولكن المساحة المتاحة حصرت الحفر وجعلت المدفونين يتراقدون فيها. وتناقصت أعداد الخراف الكاملة، والتي توضع بالقرب من المتوفى. إذ لا نجد في حالة المقابر الصغيرة الحجم، إلا واحد أو اثنين من الخراف) المرجع السابق .(192:

سمحت المشاكل العسكرية والسياسية التي مرت بها مصر أثناء فترة حكم الهكسوس) فترة الاضمحلال الثالثة(لجيوش مملكة كرمة من أن تكتسح مناطق واسعة نحو الشمال، وأصبح بالإمكان الحصول على أشياء خُلفت، أو تم تبادلها مع المناطق المتاخمة للشمال. وبهذه الطريقة جاءت إلى كرمة الكثير من التماثيل والأواني عليها نقوش كتابية، والمسلات لتوضع بالمقابر أو مقصورتها. ربما كانت هذه المادة المعاد استعمالها، ذات قيمة رمزية بالنسبة للذين ضموا إلى قرابينهم الجنائزية التماثيل لدرجة أن أتوا بتمثال مصري لهبجفا حاكم أسبوت وزوجته سنوهي، والتي احتلت موضعاً مشرفاً في المقابر. غير أن النهب الذي تعرّضت له مقابر كرمة الكلاسيكية، والذي أدى دوماً إلى ضياع الجزء الأكبر من الأثاث الجنائزي، يُؤكد لنا أن مقابر الحكام هذه تختلف عن المقابر الأخرى لدى المجموعات الحضارية "أ" و "ج". وتُشير الشواهد الأثرية التي جُمِعت من المواقع إلي وجود نظام طبقي محدد، في النطاق الجنائزي قرب المركز وفي مواقع المدفن بالمنطقة الريفية و الإقليمية) المرجع السابق (195: احتوت جبانة كرمة الكلاسيكية على صرحان كبيران بُنيا من الطوب اللبن عُرفا باسمي الدفوفة الشرقية والدفوفة الغربية. كل منهما يتضمن قاعتين طويلتين ضيقتين موصولتين بدهليز صغير. كانت هذه المباني تمتاز بأثاثٍ وبزخرفةٍ استثنائيةٍ من القاشاني بقيت منها بعض

العناصر) بونيه، (39: 1996 وخلص بونيه بأنَّ نوع الوظيفة الجنائزية لهذين المبنيين هي وظيفة دينية، وطالما إنَّ كلاً من الدفوفة السفلى وقعت بالقرب مباشرة من المقبرة، فإنَّ الوظيفة الدينية المفترضة كانت مرتبطة بالملك. (Bonnet, 1990:57)

أما رايزنر فخلص إلى أنها غرفة لإعداد الجنائز مرتبطة بالمدفان التلية الكبرى، وربما أدت كل واحدة منهما وظيفتها لفترةٍ طويلةٍ من الزمن. (Reisner, 1923:554-559) وهنالك رأيٌ آخر عن وظيفة هذه الغرف جاء به آدمز وذكر أنَّ هنالك غرف تم الكشف عنها في كرمة الكلاسيكية لتحضير الجنائز، أصغر بكثيرٍ ومرتبطة بستةٍ من المدافن التلية الصغرى. وهي عبارة عن غرف مربعة صغيرة مبنية من الطوب على طرف المدفن التلي على طول جانبه الجنوبي ومن المفترض أنها كانت مخصصة لوضع المقتنيات التذكارية التي تجيء بعد الدفن. (Adams, 1977:288)

لأول مرة منذ تنقيبات بالموقع قبل 100 عام (1913-1916) في الجزء الجنوبي من المقبرة الشرقية، والتي يرجع تاريخها إلى فترة كرمة الكلاسيكية (1500-1750 B.C)، تبين أنَّ الهياكل القائمة لُوحظت داخل القبر. كشفت الكثير من المعلومات عن الملك التقاليد الجنائزية، بالإضافة إلى الهندسة المعمارية الكاشفة التي لم تتم دراستها سابقاً. كانت الهندسة المعمارية المصنوعة من الخشب والأرض هي الطريقة الوحيدة لبناء المنازل والمباني الأثرية قبل اعتماد الطوب اللبن الذي يظهر في بداية كرمة الوسطى. باستثناء مدينة ما قبل كرمة التي تم التنقيب فيها منذ سنوات عديدة مضت، وقد تم العثور على بعض الهياكل الخشبية في مدينة كرمة لا شيء تقريباً عن هذه الهندسة المعمارية، التي كانت الطريقة السائدة للبناء جزء كبير من أفريقيا قبل اعتماد الطوب (Honegger. M and Collab. 2019:16-17) على سطح هذا القبر الفارغ، تم إكتشاف سلسلة من الحفر الكبيرة. إنها تتوافق مع بنية فوقية خشبية تغطي يزيد قليلاً عن نصف القبر. وقد تم بناؤه لحماية جسد الملك وإظهاره خلال فترة من الزمن، والتي يُمكن أن تكون طويلة نسبياً. وكان سقف الهيكل الخشبي منخفضاً، أقل من مترين. في وسط قبر، ستة فتحات كبيرة تتوافق مع نوع السرير الذي تم عرضه جسد الملك. ولم يكن سريراً مثل تلك المعروفة في العصر الأوسط أو الكلاسيكي فترات كرمة. تم تشييد كنيسة صغيرة مقابل الأسوار، تتكون من قاعدة عمود حجرية، ومدفأة في طرفها الشمالي كان من تم تشييدها لاستخدامها لعبادة المتوفى، كما هو الحال بالنسبة للمقابر الملكية اللاحقة. بينما كان يُعتقد منذ فترةٍ طويلةٍ أنَّ الملوك ظهوروا فقط في كرمة الكلاسيكية. بعد النتائج المذهلة للحفريات في بداية القرن العشرين في القرن العشرين، يُظهر اكتشافنا أنَّ المدافن الملكية تأسست قبل عدة قرون، وأنَّ كرمة تأسست كعاصمة منذ بداية كرمة الوسطى. (Honegger. M and Collab. 2019:16 -17)

الخاتمة :

لقد شهدت العمارة الجنائزية في السودان القديم تطوُّراً تدريجياً من حيث بنائها العلوي والسفلي ومحتوياتها وعادات الدفن ونحوها، بدءاً بالعصور الحجرية حيث عرف الإنسان ثقافة دفن الموتى أي فن المعمار الجنائزي، واستمر هذا التواصل الثقافي في منحى أكثر تطوُّراً مروراً بالمجموعات الحضارية التي تم اكتشافها في شمال السودان التي عاشت خلال المراحل المبكرة والمتوسطة من العصر البرونزي، إلى أن أخذ البناء الجنائزي إشكالاً أكثر رقياً وتعقيداً عند قيام حضارة كرمة، ومن بعدها حضارة كُوش النبتية المروية.

عرفت الحضارات السودانية القديمة استخدام الأثاث الجنائزي منذ فترة العصور الحجرية، خاصة فترة العصر الحجري الوسيط عندما كُشف النقب عن مدافن حوت الكثير من الأشياء مدفونة مع الميت التي كان يستخدمها أثناء حياته اليومية. ثم تليه فترة العصر الحجري الحديث التي تمثل مرحلة انتقالية ليصبح الأثاث الجنائزي أكثر تطوراً، وذلك من خلال ما تم العثور عليه من الأدوات الكهالية وأدوات الزينة الشخصية وغيرها إلي جانب المدفون. كذلك كشفت معثورات العصر البرونزي في ما يُعرف بمدافن (المجموعات النوبية) في شمال السودان عن استخدام الأثاث الجنائزي، حيث كان أكثر تطوراً خاصة في فترة المجموعة (أ) وفترة المجموعة (ج)، عندما استخدم إنسان هذه الفترة التماث (التعاويد) (الجنائزية)، بجانب استخدامه للقرابين الحيوانية، أي الضحايا الحيوانية، خاصة خلال الفترة المتأخرة للمجموعة (ج). (وأعقب تلك الفترة حضارة كرمة، حيث أصبحت مدافنها أكثر ثراءً بالأثاث الجنائزي، الذي تمثل في السلطانيات الفخارية وأدوات الزينة بجانب ظهور تقليد ممارسة عادة الضحايا الحيوانية والبشرية واستمرارها، مما جعلها أكثر انتشاراً في كل مقابر كرمة الملكية (؟). كشف تتبعنا لتطور العمارة الجنائزية في الفترات القديمة التي سبقت قيام كوش من تاريخ السودان، وذلك من خلال البناء العلوي والسفلي للمدافن. وكذلك طرق الدفن والأثاث الجنائزي، يبرز أصل ومحلية جذور عمارة المدافن الكوشية. بل أثبتت لنا أن هنالك انحرافاً منهجياً وقع فيه كثير من المؤرخين والباحثين، حيث ذهبوا إلى إرجاع هذه الطقوس إلى الأصول المصرية اقتناعاً منهم أن مصر الفرعونية هي منبع تلك العادات والتقاليد، ولكن عند محاولتنا أصل وتطور المدافن أثبتت لنا أن هذه العادات ذات طابع محلي حظي، شأن غيره من مكونات أي ثقافة، بتأثيرات خارجية. إن دراسة عادات الدفن في السودان القديم خلال مجمل التواثر الثقافي هي مسألة معقدة ومهمة وحتى تكتمل الصورة لمعرفة الكرونولوجيا الثقافية لهذه المجتمعات البشرية القديمة. وفي تحديد علاقتها بالمناطق الأخرى وبالتقافات السابقة لها لفهم البنية القافية والاجتماعية لهذه المجتمعات. الأسباب التي قدمت عادة لتبرير النشاط المكثف للتنقيب في المدافن هو توفر موضوعات مكتملة بداخلها، لكن للأسباب المذكورة في الأسطر السابقة، فإن وجهة النظر هذه تحتاج إلي إعادة نظر لدراسة محتويات المدافن حتى تتمكننا من إنشاء إطار كرونولوجي، ثقافي، اجتماعي، وقتصادي لكل بحث.

النتائج والملاحظات:

من خلال تتبعنا الواضح لممارسة الدفن في السودان القديم فيما يخص العمارة الجنائزية في العصرين الحجري والبرونزي يُمكن أن نخلص بالنتائج والملاحظات الآتية:

مدافن فترة العصر الحجري في السودان القديم يُمكن ملاحظة الآتي:

- غياب معالم المدافن الفوقية والتحتية في الفترات الأولى للعصر الحجري وظهورها تدريجياً بعد ذلك.
- الدفن في معظم الحالات كان قرفصائياً.
- تباين في اتجاهات وضع الجثة.
- المدافن معظمها فردية.
- الأثاث الجنائزي اصطحب الأموات في معظم الحالات.
- ظهر تباين اجتماعي في الفترات المتأخرة من العصر الحجري الحديث ربما بسبب ظهور الملكية.

- ومن خلال تتبعنا الواضح لمعرفة تطور العمارة الجنائزية خلال حضارة ما يُعرف بالمجموعة (أ) :
- معظم مدافن المجموعة (أ) (غير مصاحبة لبيانات على سطح الأرض ولم تكن هنالك ممارسة بناء ركام أو هياكل علوية فوق القبر.
- أخذ البناء السفلي نوعان من التطور أخذ الأول حفرة بيضاوية الشكل، بينما اخذ النوع الثاني غرفة دفن على جانب واحد.
- الدفن في كل الحالات قرفصائي.
- وضعت الجثة في الجانب الأيمن للحفرة، بينما أخذ الرأس ناحية الغرب.
- ثراء المدافن بالأثاث الجنائزي معظمه تمثل في أدوات الزينة.
- استعمال الأواني الفخارية خاصة الجرار الكبيرة لمصاحبة الموتى.
- أما في مدافن حضارة ما يعرف بالمجموعة (ج) فيلاحظ:-
- اخذ البناء العلوي لهذه المجموعة مراحل من التطور ابتداءً بشكل ركام الحجارة، وانتهاءً بحجرات مستطيلة من الطوب الأخضر على واجهات الجوانب الشرقية للبناء العلوي.
- تميز البناء السفلي بنوعين من المباني: بعض المقابر مبنية بألواح حجرية، والبعض الآخر بُني من الطوب الأخضر.
- الدفن في كل الحالات قرفصائي.
- ليس هنالك اتجاه محدد في طريقة وضع الجثمان.
- ثراء المدافن بالأثاث الجنائزي، خاصة أدوات الزينة.
- ظهور عادة الأضاحي الحيوانية في المدافن المتأخرة لهذه المجموعة.
- وفي المرحلة المتأخرة من العصر البرونزي أنّ مرحلة حضارة كرمة يُلاحظ ما يلي في الفترة المبكرة:
- ظهور نوعين من التطور في عملية البناء العلوي: إحداهما على شكل دوائر من حجارة الرمل الأسود مثبتة بترايبٍ دُعمت بالحصى، أما النوع الثاني فيتكون من مجموعة مسلات من الحجارة مرصوفة على شكل دوائر بحيث تملأ وسطها الداخل بالحصباء.
- ظهور تدرج واضح في عملية البناء السفلي، فأخذ شكل حفرة، وبمرور الزمن يُلاحظ أنّ وسط حفرة المقابر توسّعت كثيراً.
- أخذ وضع الجثمان الشكل القرفصائي.
- ظهور عادة وضع الجثة على مفرش من الجلد المدبوغ.
- وضع الزينة الكاملة للجثة، ووجود بعض الأواني الفخارية بجانبها.
- ظهور عادة الضحايا الحيوانية.
- أصبحت عادات ممارسة الدفن أكثر تعقيداً.
- وفي فترة كرمة الوسيطة تبدو سمات أخرى أهمها:
- ظهور البناء العلوي، مع وجود عادة غرز رؤوس الماشية على سطح المقبرة.
- تطور في عملية البناء السفلي حيث يتراوح قطر الحفرة نحو مترين الى اثني عشر متراً.

- الدفن في كل الحالات قرفصائي.
- تناسب في حجم البناء السفلي وكمية الأثاث الجنائزي الذي يصاحب المتوفى.
- وضع الأثاث الجنائزي في الجانب الشرقي لحفرة الدفن.
- ظهور عادة وضع الجثمان على العناقير، في الجانب الجنوبي للحفرة.
- ظهور عادة الضحايا البشرية والحيوانية.
- تواصلت عادات ممارسة الدفن لتصبح أكثر تعقيداً.
- أما في فترة كرمة الكلاسيكية التي وصلت حضارة كرمة قمتهما يُلاحظ التالي:
- ظهور البناء العلوي للمدافن وتمييزه بوجود الحجارة السوداء وحجر المرمر الأبيض.
- وجود المقصورات الجنائزية التي رُصت عليها رؤوس الأبقار.
- غياب عادة رص الأواني الفخارية (السلطانيات) خارج القبر.
- اخذ البناء السفلي غرفة جنائزية مبنية من الطوب اللبن.
- انتشار عادة الضحايا البشرية بصورة كبيرة في المقابر.
- تميزت مقابر كرمة الكلاسيكية بوجود صروح شاخصة إلى جانبها (الدفوفة الشرقية والغربية) بالقرب من المدافن، وربما كانت لهما وظيفتهما الدينية أو الوظيفية.

الهوامش:

أولاً: القرآن الكريم

ثانياً: المصادر والمراجع العربية:

- (1) الحاكم، أحمد محمد علي وبونية ، شارل :1997 كرمة مملكة النوبة، الهيئة القومية للآثار والمتاحف، ترجمة، صلاح الدين محمد أحمد.
- (2) النور، أسامة عبد الرحمن :2006 دراسات في تاريخ السودان القديم، مركز عبد الكريم مرغني الثقافي، أم درمان.
- (3) يونيه، شارل :1996 مملكة كرمة (1500-2500ق.م « السودان ممالك على النيل»، ترجمة بدر الدين عرودي، مراجعة الترجمة- صلاح الدين محمد احمد، معهد العالم العربي، باريس، ص ص (38-40).
- (4) رينولد، جاك :2000 الآثار في السودان - حضارات بلاد النوبة ترجمة صلاح الدين محمد أحمد، باريس.
- (5) رينولد، جاك وكرزيناك، ليخ :1996 "ملاحظات حول ما قبل التاريخ في السودان"، ترجمة- بدرالدين عدودي، مراجعة الترجمة- صلاح الدين محمد احمد، السودان ممالك على النيل، باريس، ص ص (13-16).
- (6) شاهنده عمر أحمد الباشا : 2009 حضارة كرمة: النشأة والتطور والإمتداد الجغرافي، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة الخرطوم.
- (7) صادق، أزهرى مصطفى :2013 «بيئات عصر الهولوسين والتغير الثقافي في نهر النيل الأوسط - السودان) ق.م(3000 – 10000 " أدوماتو، العدد ... ، ص ص (29-50).
- (8) صادق، أزهرى مصطفى :2020: «ما قبل التاريخ في السودان» عن كلية الآداب - جامعة الخرطوم،العدد42، ص ص (101-168).
- (9) صادق، أزهرى مصطفى وعباس، جمال جعفر :2006 "« دور النظريات والمناهج الأثرية في تفسير المدافن في السودان القديم، أدوماتو"، العدد 13، ص ص (7-24).
- (10) عباس، جمال جعفر الحسن :2024 دراسة المدافن الأثرية، المناهج والتطبيق، دار أريتريا للنشر والتوزيع، الخرطوم- السودان، ط.1.
- (11) عبدالله، فخري حسن :2010 أصل وتطور المدافن الملكية الكوشية كما تعكسها مقبرتا الكرو ونوري، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة دنقلا.

3- المقابلات الشخصية:

- (1) الدكتور خضر عبد الكريم أحمد، مقابلة شخصية ، بتاريخ 15/7/2009م. أستاذ مشارك - جامعة النيلين ، كلية الآداب - قسم الآثار.

4- المراجع والمصادر الأجنبية

- (1) **Adams, W.Y. 1977:** Nubia Corridor to Africa, Allen Lane, London.
- (2) **Arkell, A.G. 1949:** Early Khartoum, Oxford.
- (3) **Arkell, A.G. 1961:** A History of the Sudan from the Earliest Times to 1821. London (2nd Ed).
- (4) **Bonnet, CH. 1978:** "Les fouilles Archaeologiques de kerma" "Sudan" *Geneva*, pp. 107-134.
- (5) **Bonnet, CH. 1992:** Kerma Royaume de Nubian. Geneva: Mission archeologique de 1, Universite de **Geneva** au Soudan.
- (6) **Bonnet, CH. 1991:** "Excavation at the Nubian Royal town of Kerma", 1975-1991. *Antiquity*, pp.611-25.
- (7) **Caneva. I. 1994:** "New Methods of Data Collection and Analysis in Sudanese Prehistoric Archaeology". In: F. Geus (ed.), Nubia Thirty Years Later. Pre-publication of Main Papers, Society for Nubian Studies. Eighth International Conference 11-17 September. Lille.
- (8) **Caneva, I. 1983:** Excavating at saggai 1, pottery using Gathers and Hunters at saggai (Sudan) Preconditions for food production. Estratto dallarivista (Origini) Prestoria eprotostoria dalle civilta antich. Vol: XII.
- (9) **Man in Prehistory, MC-Graw Hill, New York.**
- Chard, C.S. 1974:**
- (1) **-Clark, J.D. 1873:** "Nyame Akuma", a news letter of African Archaeology, no.3, pp.55-63.
- (2) **Coppa, A. 1988:** "Changing Dietary Patterns at Geili". In: I. Caneva (ed.), El Geili, and the History of a Middle Nile Environment 7000 BC-Ad1500. Cambridge Monographs in African Archaeology. *BAR International Series*. 424. 275-302.
- (3) **Emery, W. 1965:** Egypt in Nubia, London.
- (4) **Firth, C.M. 1915:** The Archaeological Survey of Nubia, 1909-1910, Government press, Cairo.
- (5) **Haaland, R.1988:** Socio- Economic Differentiation in the Neolithic Sudan Cambridge Monographs in Africa Archaeology, 20.BAR.5.350.
- (6) **Hala Alarashi, Lionel Gourichon, Lamya Khalidi, Philippe Chambon, Pascal**

- Sellier, Emma Maines, Louiza Aoudia, Patricia Anderson, Malvina Baumann & Olivier Langlois: 2021: Survival kit for the afterlife or instruction manual for prehistorian? Staging artefact production in Middle Neolithic cemetery Kadruka 23, Upper Nubia, Sudan, *Antiquity* Vol. 95 (384): e31, pp 1–8.
- (7) Honegger M. 2013: “Aux Origines des Pharaons noirs: la préhistoire a Kerma ET en Nubie”, *Bulletin de la Société Suisse d'Anthropologie* 19 (2): 33-ISSN.14208-4835.
- (8) Honegger M. 2003: peuplement préhistorique dans la région de Kerma, Geneva, .Ll.Honegger M. forthcoming), the pre-Kerma settlement at Kerma: new elements throw light on the rise of the first Nubian Kingdom, In: T.Kendall (ed., *Nubian studies 1998: proceedings of the Ninth International conference of Nubian studies* .Boston.
- (9) Honegger, M. 2004: “Settlement and Cemeteries of the Mesolithic and Early Neolithic at el-Barga. (Kerma region)”, *Sudan & Nubia*, Bulletin NO.8, pp. 27-37.
- (10) Honegger M and Collab, 2019: Archaeological Excavations at Kerma (Sudan) Preliminary Report of the 2017-2018 and 2018-2019 Seasons, Université de Neuchâtel, Institut d'archéologie, Documents de la mission archéologique suisse au Soudan.
- (11) Honegger M. and Collab. 2012: “Archaeological excavations at Kerma (Sudan)”, Documents de la mission archéologique suisse au Soudan (4), Université de Neuchâtel.
- (12) Junker, H. 1919: Ermenne, Bericht Über die grabungen der akademie der wissenschaften in Wien ufden Frid hofen von Ermenne (Nubien). Akdamie der wissen chaften in Wien phitosophisch- Historische part.1.
- (13) Kendall, T. 1995: “The American Discovery of Meroitic Nubian and the Sudan”, in the American Discovery of Ancient Egypt Los Angeles, pp. 67-151.
- (14) Kirwan, L.P. 1935: “The Oxford University Excavation in Nubia”, 1934- 1935, *JEA*, vol. 121.
- (15) Krzyzaniak, L. 1978: “New light on Early food production in the central Sudan”, *journal of African History*, pp. 159-172.

- (16) **Krzyzaniak, L. 1992** : “Some Aspects of the later Prehistoric Development in the Sudan as seen from the point of view of the current Research on the Neolithic”, in: ch, Bonnet (ed., Etudes Nubiennes: Conference de Geneva. Actes du vllle congres international detudes Nubiennes 3-8 September 1990, vol.1, *Geneva*, p.p 267-73.
- (17) **Kuper, R. 1968**: “Wadi Howar and Laquia. Recent Field Studies into the Early Setellement of Northern Sudan”. In M. Krause Ed, Nubische Studien, Mainz, pp.129-36.
- (18) **Marks, E.A and Mohamed-Ali. A. 1991**: The Neolithic and Neolithic of Shaqa-dud, Sudan.
- (19) **Nordstrom, H.A. 1962**: “Excavation and Survey in faras, Argin and Gesira Dabarosa”, *Kush*, 10, pp. 34-61.
- (20) **Pascal Sellier, Louiza Aoudia, Emma Maines and Philippe Chambon, 2020**: “A Neolithic Burial ground from Upper Nubia as seen from recent work at Kadruka 23” *KDK23.Sudan & Nubia*. 23, pp 68-76.
- (21) **Reinold, J. 1987**: “Les fouilles pre- etproto- historques de 1a seetion Francaise de 1a Direction des Antiquites du Sudan”, Les compagnes. 1984-85 8et 1987- 86 Archeolqie du Nile Mogen. 2. pp.17-67.
- (22) **Reinold, J. 2000**: “Kadruka and the Neolithic in the Northern Dongola Reach”, *Sudan & Nubia*, pp.2-10.
- (23) **Reisner, A.G. 1910**: The Archaeological Survey of Nubia, for 1907-1908 vol. 1 Archaeological Report. Ministry of Finance. Survey Department of Egyptology. Cairo.
- (24) **Reisner, A.G. 1919**: “Outline of the Ancient History of the Sudan, The first kingdom of Ethiopia, its Development into a kingdom of Sudan (1100-750- B.C)”, *SNR*. Vol.11. part IV, Cairo. pp 35-67.
- (25) **Reisner, A.G. 1923a**: Kerma part I.III. Harvard University, Peabody Museum. African Department, H.A.S.vol.5. Cambridge.
- (26) **Reisner, A.G. 1923a**: Kerma, part IV-V Harvard University, Peabody Museum. Vol.6. Cambridge.
- (27) **Reisner, A.G. 1923**: “The Meroitic kingdom of Ethiopia”, *JEA*, vol. 9 part III. London, pp 34-77.
- (28) **Sandro, S and Donatella, U. 2001**: “Fist Season of Excavation at site R12, A late Neolithic Cemetery in the Northern Dongola Reach”, *Sudan & Nubia*, pp.11-28.
- (29) **Sandro, S and Donatella, U. 2002**: “The second Excavation season at R12, A late Neolithic Cemetery in the northern Dongola Reach”, *Sudan & Nubia*, pp.2-7.

- (30) Save- Soderbergh. 1956: "The Nubian kingdom of the second intermedte period", *Kush*.4, pp.54-61.
- (31) Sherif, M.N. 1981: "Nubian before Napata (3100- to 750)" General History of Africa, II, Editor, G, Mokhtar, UNESCO. Pp.244- 277.
- (32) Simth, H, S. 1966: "Nubian (B) group", *Kush* .vol.14. Pp.69- 124.
- (33) Wendorf, F and Schild, R. 2004: "Late Paleolithic in Nubia, the Evidence and causes", *Adu-matu*, Issue No.10. Pp.7-26.